السبائك الذهبية
في الخطب
والمواعظ المنبرية

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت: ٢٢٥٧٨٨٢

السبائك الذهبية في الخطب والمواعظ المنبرية

تأليف

حامد على زقزوق
من علماء الأزهر الشريف

أحمد حافظ عبد النبى
من علماء الأزهر الشريف

«مقدمة»

بسم الله الرحمن الرحيم

بهذه البسملة المباركة ذات العبير الفوّاح ، نُتوّج «السبائك الذهبية » وبعون الله تبارك وتعالى تكون نافعة كل النفع ، هادية الحيارى فى حياتهم إلى ما فيه صلاح أحوالهم ، محطّمة السلاسل الشيطانية التى تكبّل البعض من الناس ، معطرة بأريجها الأجواء ، منيرة بأنوارها الأرجاء ، مرشدة بتوفيق اللَّه من تنكّب الطريق السوى فى مسيرته الهوجاء ، وتاه فى بيداء الجهالة العمياء .

إنَّ هذه « السبائك» هى نتيجة جهد بذل ، وثمرة فكر هادف ، وعمل مزدان بالإخلاص ، والأمل كبير فى أن يكون لهذا الجهد صداه ، وأن تغلّف أعمالنا بالإخلاص للَّه ، وأن يمتد النفع بما سجّل فى «السبائك» إلى قطاعات عريضة من الجماهير ، واللَّه الموفق والمعين ، وهو سبحانه خير من يستعان به ويتوكل عليه ، وهو ـ جلَّ شأنه ـ حسبنا ونعم الوكيل .

المؤلفان

حامد علي زقزوق

أحمد حافظ عبد النبي

« الإهـــداء »

إلى أبناء لنا أو إخوة شرفوا بحمل لواء الدعوة الإيمانية ، وقاموا بالتوعية الدينية فى أشرف الأماكن وأطيبها وهى بيوت اللَّه .

وإلى رواد المساجد ومحبيها والمكثرين الخطوات إليها ، وإلى كل من لديهم استعداد نفسى للحياة فى رحاب عطر الموعظة الحسنة .

وإلى كل المتعطشين إلى التزود بالزاد الروحى والغذاء الإيمانى .

إلى كل هؤلاء تُهدَى لهم « السبائك الذهبية » فى حلة قشيبة عطرة ، يفوح شذاها ، وتسرّ من يراها . والمرجو من اللَّه تبارك وتعالى أن تكون «السبائك» خالصة له ، حاملة الخير والنفع إلى كل من يطلع عليها أو يستمع لها ، آخذة بأيدى من حادوا عن الصراط المستقيم ، موجهة لهم إلى أقوم طريق ، واللَّه الموفق ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

المؤلفان

حامد على زقزوق

أحمد حافظ عبد النبى

« إلى الدعــاة »

١ـ لكى تثمر الدعوة وينجح الداعى فى أداء واجبه لابدّ أن تكون دعوته مبنية على الإخلاص للّه رب العالمين ، لأن الإخلاص هو دعامة النجاح فى الدعوة ، وهو أساس قبول العبادة لدى اللّه تعالى ، وروح أى عمل خيّر يمارسه الإنسان .

٢ـ الدعوة إلى اللّه تبنى على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، ودليل ذلك قول ربّ العزّة: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥] فإذا خرجت عن هذا الإطار القرآنى فإنها لا تثمر الثمرة المرجوة ، وليكن الداعى واسع الصدر رحب الفؤاد . وعليه أن يواجه الجفاء بحسن الخلق ، والغلظة بالبشاشة ، وليضع أمام عينيه قول ربه ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران :١٥٩] .

٣ـ لابد لكى يحقق الداعى النجاح فى أداء رسالته أن يكون قدوة حسنة لغيره، وتتمثل القدوة الحسنة فى التحلى بالأخلاق الكريمة ، والتخلى عن الرذائل البشرية، والبعد عن مواطن الشبهات .

٤ـ لابد من أن تواجه الداعى صعاب فى آداء رسالته ، ولكى يجتاز هذه الصعاب وينبغ فى هذا الميدان ، فعليه أن يتحلى بالصبر الجميل ، ويقابل السيئة بالحسنة ، والقدوة المثلى تتمثل فى أفضل الخلق محمد عليه الصلاة والسلام .

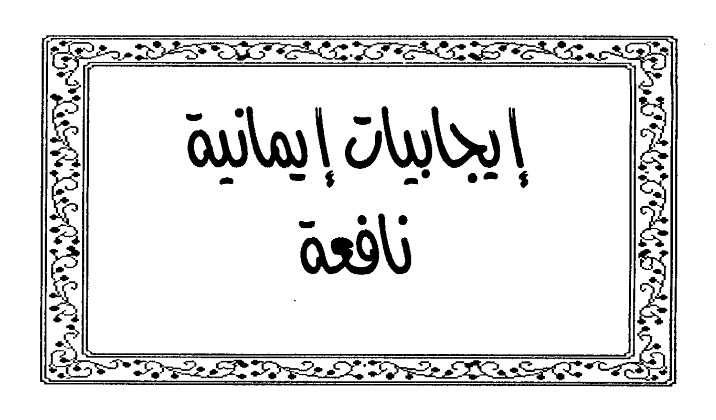
٦ـ أداء الواجب الوظيفى أمر ضرورى وواجب دينى ، وليس من الدين ولا من المروءة الإهمال فى العمل ، وليعلم الداعى أن اللّه مطلع عليه وعالم بأحواله، وأن هذه الوظيفة التى أنيطت به إنما هى أمانة ، فليؤد الأمانة كما أمر اللّه .

المؤلفان

حامد على زقزوق

أحمد حافظ عبد النبى





إيجابيات إيمانية نافعة



١ ـ [ذكر الله منج من الكروب]

الحمد لله أمرنا بذكره ذكرا كثيراً ، وبتسبيحه بكرة وأصيلاً ، وباستجابتنا لأمر الله ننال الخير ونحظى بالثواب من الله ، وأشهد ألاّ إله إلا الله وحده لا شريك له حدثنا عن ثمرة من ثمرات ذكره فى قوله جلَّ شأنه : ﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب ﴾ [الرعد:٢٨] .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، أفضل الذاكرين ، وإمام العابدين، وحبيب ربِّ العالمين ، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله ، وعلى آلك وأصحابك ، الذين عرفوا الله فى الرخاء فعرفهم الله فى الشدة ، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

إخوة الإيمان والإسلام : إن أنفس وقت هو ما يقضيه المؤمن فى ذكر الله ، وإن أعظم زمن هو ما كان عامرا بتسبيح الله ، والله سبحانه وتعالى أمر عباده المؤمنين بذكره ذكراً كثيراً ، وبتسبيحه بكرة وأصيلاً ، لأن فى ذكر الله تنشيطاً للعقيدة الإيمانية فى القلوب ، وفى تسبيحه يقظة للأرواح ، وتطهيراً للنفوس ، ووصلاً للمؤمن بربه ، ومغفرة ورحمة من خالقه ، ونجاة من الكروب فى الدنيا ويوم لقاء الله . وبذكر الله تطمئن القلوب ، وتنشرح الصدور ، ويحس المؤمن بالراحة تسرى فى جسمه ، وبه يعيش الإنسان فى جو عامر بالسرور ، زاخر بالأفراح ، وربُّ العزَّة جلَّ شأنه ، أمر عباده بذكره وتسبيحه والتقرب إليه بالعبادة، حيث قال سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الاحزاب :٤١ـ٤٢] وهو سبحانه لا يأمر بالشىء إلا إذا كان فيه خير لنا ، وبالحياة فى رحاب الله والتقرب إليه بالعبادة، على اختلاف ألوانها وتنوع صورها، تكون النتائج الرائعة السارة ، والمستقبل الباسم المشرق دنيا وأخرى . وألوان ذكر الله

كثيرة، ومنها التسبيح والتكبير ، والاستغفار والدعاء ، وغير ذلك من ألوان أخر .

والتسبيح معناه : تنزيه اللّه تعالى عما لا يليق بذاته الكريمة ، وإثبات كل كمال له جلّ شأنه .

والتهليل : معناه : نفى الألوهية عن غير اللّه ، وإثباتها له وحده دون سواه من الخلق ، فهو وحده ـ جلّ شأنه ـ الإله ولا إله غيره ، وهو الربّ ولا ربّ سواه .

والتكبير : ويمثل القوة المطلقة للّه ، والعظمة والكبرياء له سبحانه دون غيره .

والاستغفار : ويمثل ذلة الإنسان لربه ، وافتقاره لخالقه ، وكذلك الدعاء فيه إفتقار وذلة ، وما أحسن أن يكون الإنسان ذليلاً لربه ، مفتقراً إلى من أوجده وغمره بنعمه ، وفى ذكر اللّه بأى لون من الألوان مكسب كبير للمؤمن ، ورضا عظيم من الله على من يستغفرونه ويذكرونه ، واللّه ـ جلّ شأنه ـ يغفر للمستغفرين ، ويرحم المسترحمين ، وقد بيّن لنا القرآن الكريم ما يترتب على الاستغفار من خير عظيم ، وصدق ربُّ العزَّة حيث قال : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ⦗١٠⦘ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ⦗١١⦘ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح : ١٠-١٢] .

إنها لثمرة طيبة سارة ، وإنها لنتيجة رائعة ممتازة ، تتمثل فى غفران الذنوب ، ونزول الغيث النافع الذى به يحيا الإنسان والحيوان والنبات ، وفى فضل اللّه فى جلب المال والبنين للمستغفرين ، وفى إمدادهم بالجنات الوارفة الظلال ، المليئة بأطيب الثمار ، الزاخرة بألوان الفاكهة السارة للناظرين ، الحلوة المذاق للآكلين ، وفى الأنهار الحاملة للمياة العذبة النافعة ، ثم إن الاستغفار يبعد العذاب عن المستغفرين ، مصداق ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٣] .

أيها الإخوة : إليكم قصة قرآنية نعرف منها ما يترتب على ذكر اللّه من حسن العواقب ، وهذه القصة ليست لرجل عادى ، وإنما لرسول من رسله ، وقد وقع فى محنة شديدة ، ولكن اللّه تعالى أنقذه منها بفضل دعائه وتسبيحه ، وإليكم قصة هذا الرسول باختصار غير مخل ، إن هذا الرسول هو يونس عليه السلام.

وقصته تتلخص فى أن ربه أرسله إلى قومه بمنطقة اسمها « نينوى » وأخذ عليه السلام يدعوهم إلى المعرفة باللّه وعبادته ، لأنه الذى خلقهم وأمدهم بنعمه، ورعاهم فى مسيرة حياتهم ، وحذرهم من عبادة غير اللّه من أصنام لا تضر ولا تنفع ، ولا تسمع ولا تبصر ، وأخذ يعظهم ويرشدهم ، وبذل جهدا كبيرا فى ميدان الدعوة إلى الإيمان باللّه ، لكن القوم بعد كل ما بذل ، وبعد هذا المجهود الضخم الذى قام به يونس عليه السّلام ، لم يستجيبوا لنصحه ، ولم يغيروا سلوكهم ، ولم يتخلصوا من عبادة غير اللّه ، وتشبثوا بعقيدتهم الزائفة ، وظلوا على ضلالهم وكفرهم ، فتألم يونس عليه السلام من مسلك القوم ، وتأثر كل التأثير لإصرارهم على ماهم فيه من ضلال : وعندئذ قرر أن يتركهم ويرحل بعيدا عنهم ، لعله يجد أناسا خيرًا منهم ، وتربة صالحة تنجح فيها دعوته ، وقد اتخذ هذا القرار من تلقاء نفسه ، وبلا تعليمات من خالقه ، وخرج عليه السلام واتجه صوب البحر ، ولما وصل إليه وجد سفينة محملة بالناس ، فطلب من رُبَّانها أن يكون ضمن المسافرين ، فلبى طلبه وركب معه ، وحدث ما لم يكن فى الحسبان، حيث إن السفينة أوشكت على الغرق ، نتيجة لكثرة الركاب ولتغير الجو ، ولما كان الأمر كذلك ، فقد طرحت على الركاب فكرة وهى أن يطرح واحد منهم فى البحر لتخف حمولة السفينة وتكون النتيجة سلامة السفينة ، وإتفقوا على إجراء قرعة بينهم، ومن تصيبه القرعة يلقى فى البحر ، وأجريت القرعة مرات ، وفى كل مرة تصيب يونس ـ عليه السلام ـ، وعندئذ ألقى به فى البحر ، فالتقمه حوت من حيتانه ، واستقر يونس فى بطن الحوت ، وأخذ ـ عليه السلام ـ وهو فى هذا

المكان الضيق يسبح ربه ، ويلهج لسانه بذكر خالقه ، ويتضرع إليه ليفرج كربه ، قائلا له سبحانه : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] وظلَّ عليه السلام ـ يردد لسانه هذا التسبيح من أعماق قلبه ، وهنا جاء الفرج من اللَّه ، حيث أمر ربنا الحوت أن يخرج يونس من بطنه على شاطئ البحر فنفذ الحوت أمر ربه ، وأنبت اللَّه شجرة من يقطين لحماية هذا الرسول وهكذا نجى اللَّه يونس ـ عليه السلام ـ نتيجة تسبيحه ، والله ينجى كذلك غيره من المؤمنين الذين يسبحونه، والقرآن الكريم يقول فى هذا الشأن : ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٨] ، ويقول : ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات ١٤٣-١٤٤] .

ثم اتجه يونس ـ عليه السلام ـ إلى قوم آخرين فآمنوا باللَّه ربِّ العالمين ، وصدق الرسول ـ عليه السلام ـ حيث قال : « **من لزم الاستغفار جعل اللَّه له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب** » [أحمد، والحاكم] .

٢ ـ [من الإيمان حسن الظن باللّه تعالى]

الحمد للّه اتصف بالرحمة ، فهو رحمن رحيم ، وهو عفو كريم ، وهو الذى يقبل التوبة من عباده ، ويعفوا عن سيئاتهم ، لأنه رحمن رحيم ، وأشهد ألاّ إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، يغفر للمؤمن زلته إذا راجع نفسه وإلى اللّه أناب ، وتطهر بالتوبة النصوح وابتعد عن كل مايغضب اللّه ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد اللّه ورسوله ، يتوب إلى اللّه فى اليوم مائة مرة ، مع أنه غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، صلوات اللّه وسلامه عليك يا رسول اللّه ، وعلى آلك وأصحابك ، الذين سمت أرواحهم ، ووثقوا صلتهم بربهم ، فرضى اللّه عنهم وأرضاهم أجمعين .

أيها الإخوة الموحدون : إن ربّ العزّة جلّ جلاله ، جعل الرحمة مائة جزء ، وأنزل منها إلى الأرض جزءا واحدا ، ومن هذا الجزء الواحد يتراحم جميع خلقه، من جن وإنس وحيوانات ، أما بقية أجزاء الرحمة فقد احتفظ بها ربنا لديه، وأمسكها عنده واختص بها دون سواه ، ومن هنا كانت رحمة اللّه واسعة ، ومظلتها كبيرة ممتدة ، ولهذا فاللّه تبارك تبارك وتعالى عظيم الرحمة بعباده دنيا وأخرى ، وواسع الفضل على خلقه ، وهو سبحانه لو لم يكن لديه هذا الكم الكبير من الرحمة ، فإنه حينئذ يقتص من المذنبين حين يرتكبون ذنوبهم ، وينتقم من المنحرفين أشد الانتقام عندما يقعون فى بؤرة المعصية ، لكنه سبحانه أعطاهم الفرص ليتوبوا ، ودلّهم على طريق النور وسبيل الهداية والخير ليثوبوا ، فإذا أقلعوا عن معاصيهم وهجروا كل مايغضب ربهم ، من ذنوب مهلكة ، وسيئات مردية وخطايا محرقة ، فإنه سبحانه يقبل توبتهم ، ويطهرهم من ذنوبهم ، ويفتح الباب على مصراعيه أمامهم ليلجوا منه إلى ساحة الغفران ، وهو جل شأنه سيعفو

عنهم ويقبل أوبتهم ، وسيطهرهم من شوائب ما ارتكبوا من منكرات وأدناس ما فعلوا من سيئات ، وبهذه النظافة والطهارة ، والسلوك الطيب فى الحياة ، يكون الطهر الذى لا دنس بعده ويكون الرضا والخير ، وتكون الحياة الهانئة السعيدة دنيا وأخرى ، والمسيرة الطيبة التى لا تلويث فيها ، ولا ظلمة فى أى ناحية من نواحيها، ويكون الإنسان بعد هذه الصحوة الإيمانية كأنه مولود من جديد ، وكأنه لم يحدث منه شىء يحاسب عليه أو يعاقب . . إن هذه اليقظة المباركة لفرصة ذهبية،وإن هذه الأوبة الطيبة ، ووراءها كل خير من اللّه ، وإنها لرحمة ربانية ، أن يكون أمام الإنسان المخرج مما حدث منه من انحراف فى دنياه ، وأن يكون لداء الزلل فى الحياة دواء من صيدلية الدين الإسلامى الحنيف .

أيها الإخوة الأحباب: على المسلم أن يحسن الظن بربه وأن يتأكد من واسع رحمته ، ويعلم علم اليقين أن اللّه قريب منه ومطلع عليه ورحيم به ، وأنه إذا تقرب إليه بالطاعة الخالية من الشوائب ، تقرب إليه بما يسر القلب ، من حب ورضا ، وثواب وأجر عظيم .

وحسن الظن باللّه تعالى يجعل لدى الإنسان الأمل الكبير فى عفو اللّه ، والرجاء الواسع فى رحمته ، ومتى وجدت هذه المعانى السامية فى ذهنه ؛ واتسع نطاقها فى عقله ، واستقرت الاستقرار الكامل فى قلبه ، فإنه سيجد العفو الإلهى من نصيبه ، والحب الربانى قريباً منه ، وكيف لا ؟ وهو ذلك الذى عدّل سلوكه ، وحوّل حياته إلى النظافة والتوبة ، والرجوع الحقيقى إلى اللّه وطاعته ، وامتثال أوامره بصدق ، واجتناب نواهيه بدقة ، إنه عندئذ يشعر بالسرور يغمر قلبه ، وبالراحة النفسية تسرى فى جسمه ، أما إذا تمادى فى غيّه ، وبعد عن ساحة ربه ، ودنّس جسمه بارتكاب المعاصى ، وتأثر بوساوس الشيطان وانقاد لأوامره ، دون أن يراجع نفسه ، أو تحدث له صحوة إيمانية ، أو محاسبة للنفس على ما فيها من

انحرافات ، أو مراجعة لما تقترف من ذنوب ، وظلّ على حاله هذه فى وحل المعاصى ، ووهدة المنكرات ، والانقياد للشيطان الرجيم ، وكان أسيراً له ودمية فى يده ، فهو له موجه نحو الشر . وهو لديه بلا مقاومة ضد توجيهه الحقير ، وأمامه منزوع السلاح مكتوف اليدين ، ومنه يتلقى الأوامر فيطيع فوراً دون مناقشة أو رفض لما يشير به عليه ، وهو رهن إشارته وطوع إرادته . فإنه يكون معرضا نفسه لعقاب اللّه **أيها المسلمون** : إن الواجب على المسلم أن يحسن الظن بالله تبارك وتعالى ، وأن يتقرب إلى ربه بالعبادة الخالصة ، والطاعة الصادقة ، والإنقياد التام . والمعرفة الحقيقية بمن خلق كل شيء فى هذا الكون علويه وسفليه، وبمن أنعم على كل عباده بنعم لا تعد ولا تحصى ، وبهذا الأسلوب الأمثل ، وبذلك السلوك الأكمل ، يكون اللّه تعالى مع الإنسان الذى يكون بهذا النموذج الطيب ؛ يكون معه برحمته ورعايته ، وتخليصه من الشدائد ، ويمنحه كثيراً من نعمه ، ويقرّبه إلى ساحة كرمه ، ويأتيه الخير من كل مكان . وربُّ العزَّة ـ جلَّ شأنه ـ صاحب الكرم والجود ، يدل على ذلك ما قاله رسول الله ﷺ عن رب العزة جل شأنه ، يقول ربُّ العزَّة : « **من جّاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر ، ومن تقرب منى ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة ، ومن لقينى بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بى شيئاً لقيته بمثلها مغفرة** » [مسلم] .

والحديث واضح وجلى ، فكرم الله عظيم ، وجوده لايحد ، ورحمته وسعت كل شيء ، وبناء على هذا فالمسلم مطالب بمراجعة نفسه فى سلوكها ، وبتصحيح مسيرة حياته من آن لآخر ، وبمحاسبة النفس إن هى زلت ، وتقويمها إن ضلت ، وأن يضع فى ذهنه دائماً أن كرم الله لا يحد ، وأن خزائن كرمه لا تنفد أبداً ، وأن يعلم كل العلم أن كل شيء يصدر عنه قولاً أو فعلاً مسطر ، وأنه فى يوم رهيب شديد الكرب عظيم الأهوال سيناقش ، وأنه سيقف أمام محكمة إلهية لديها كل ما صدر عنه من خير أو شر ، فليحذر الإنسان تلك الوقفة المهزوزة ،

وليسلح نفسه بالعبادة والطاعة وحسن السلوك فى دنياه ، لينال الخير من الله فى أخراه ، وصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: « **ليس الإيمان بالتمنى ، ولكن الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وإن قوماً غرَّتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا : نحن نحسن الظن بالله تعالى وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل** » [الديلمى فى مسند الفردوسى].

٣ـ [التوبة تطهير ويقظة]

الحمد للَّه أمرنا بالتوبة النصوح ، ووجهنا رسوله محمد صلوات اللّه وسلامه عليه بأن نتوب إلى ربنا ، ونقلع عن كل شيء يغضب خالقنا ؛ وأشهد ألا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، لا يطرد المذنبين عن أبواب رحمته ، ولهذا دعاهم إلى الجلوس على بساط التوبة ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد اللّه ورسوله ، كان وهو المغفور له يتوب إلى ربه كل يوم ، صلوات اللّه وسلامه عليك يا رسول اللّه ، وعلى آلك وأصحابك ، الذين استجابوا لربهم ، وأدوا واجبهم نحو خالقهم : وعملوا لدنياهم وآخرتهم ، فرضى اللّه عنهم وأرضاهم أجمعين .

أيها الإخوة الأحبة : مَنْ منا لا يخطئ فى مسيرة حياته ؟ ومَنْ منا عاش حياته دون ذنب وبلا معصية ؟ ومَنْ منا قضى عمره بلا زلة فى دنياه ؟ أعتقد تمام الاعتقاد أننا جميعاً وقعنا فى الخطأ ، إما بقصد وإما بغير قصد ، وإما باللسان أو بالعين أو بالأذن، وإما بغير ذلك من أعضاء أخرى فى أجسامنا ، واللّه سبحانه وتعالى وهو الرحيم بعباده ، دلّنا على طريق التصحيح ، وأرشدنا إلى الطهارة المعنوية ، وبيّن لنا ألا نيأس إذا أخطأنا، وأن أمامنا مخرجاً لما يحدث فى حياتنا من هفوات ، ويتمثل ذلك فى التوبة النصوح ، والرجوع الصادق إلى اللّه، والندم على ما حدث من تجاوزات ، والتصميم الجاد على عدم العودة إلى شيء من الذنوب ، والإصرار على بدء حياة طاهرة نظيفة ، قائمة على الحب فى اللّه والإخلاص له فى العبادة ، والارتفاع عن الدنايا، والبعد عن الخطايا ، وبهذه التوبة الصادقة اليقظة ، يفتح الله أبواب القبول، ويطهر التائب من الذنوب ، وينظفه من دنس المعاصى ، ويجعله أهلاً لجنته ورحمته .

وإذاً فالتوبة رحمة من اللّه تعالى ، وطريق إلى رضاه ، وتوجيه عظيم لمن

زلوا فى حياتهم ووقعوا فى وحل الخطيئة .

والذنب الذى يرتكبه الإنسان إنما هو داء ، وكل داء له دواء ، كما أن كل مرض يعتبر داء وهو كذلك له دواء ، واللّه سبحانه وتعالى كما خلق الداء خلق له الدواء، والتوبة التى أمرنا اللّه بها هى دواء ، وهى للنفس تطهير ونقاء ، وللروح شفافية وصفاء . ولنستعرض بعض ما جاء فى القرآن الكريم بشأن التوبة ، ومما جاء فيها قول اللّه تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ [التحريم :٨] وقال سبحانه : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٣١] وقال ربُّ العزَّة : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر ٥٣] .

إنها آيات مبشرة ، لأنها تفتح باب المغفرة واسعا لمن زلوا فى حياتهم ، واللَّه سبحانه وتعالى طلب من عباده المؤمنين الذين أذنبوا فى دنياهم أن يتوبوا إلى ربهم توبة نصوحاً لا رجوع إلى ذنب بعدها ، وألا ييأسوا من رحمة اللَّه .

وبالتوبة النصوح يكون الرضا الإلهى ، والسعادة الأخروية ، والخير العميم . واللَّه سبحانه وتعالى يبسط يده ليتوب مسيىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل ، وهذا فضل من اللَّه ورحمة ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول فى حديث شريف عن التوبة « **التائب حبيب الرحمن ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له** » [الطبرانى] .

ولهذا وعلى ضوء هذا الحديث فإن الإنسان الذى يريد أن يكون حبيب الرحمن ، عليه أن يتوب إلى ربه ، ويثوب إلى رشده ، ويتعامل بصدق وإخلاص مع خالقه وهو اللَّه تبارك وتعالى الذى خلق كل شىء ، وإليه المرجع والمصير وبتوبة المؤمن ورجوعه إلى ربه ، وإنابته إلى خالقه ، وبالنظافة من ذنبه ،

يتخلص الإنسان من خطاياه وكأنه مولود من جديد ، وما على المذنب إلا أن يطرق باب التوبة ، وسيجد بابها مفتوحا لاستقباله ، وباب التوبة مفتوح مالم يصل الإنسان إلى درجة الغرغرة عند الاحتضار ، فإنه عندئذ يغلق باب التوبة عندما يصل الإنسان إلى تلك الدرجة ، وهذا الإغلاق لكل من يصل إلى هذا الحد ، وفى الوقت نفسه فباب التوبة مفتوح لمن لم يصل إلى درجة الغرغرة ، وهو سيظل مفتوحا إلى أن تطلع الشمس من جهة المغرب بدلا من جهة المشرق ، وعندما يكون الأمر كذلك يغلق الباب إغلاقا تاما ، ولا تقبل توبة بعد ذلك أبدا .

إن اللَّه تبارك وتعالى غافر الذنب وقابل التوب لمن تاب وندم ، واستأنف حياة جديدة ، وحاسب نفسه ، وخاصم الشيطان اللعين ، وهذا هو قول الحق تبارك وتعالى : **﴿حمٓ ① تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ② غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾** [غافر :١-٣] ألا إنها الرحمة لمن يملكها وهو اللَّه تبارك وتعالى ، وإنه العفو الكبير من اللَّه لمن شوهوا مسيرة حياتهم ثم أفاقوا من غفوتهم ، وإنه الغفران العظيم من الرب العظيم لكل من بادر بالتوجه الحقيقى إلى اللَّه وغسل ذنوبه بماء التوبة الطهور ، وندم من أعماق نفسه على كل ماحدث منه من إنحرافات مرذولة ، ومساوئ إجرامية ، وراجع ملف حياته الأسود فتأثر مما فيه من ذنوب وخطايا ، وعندئذ أدرك أنه ضيع حياته فيما يغضب اللَّه ، وأن من الواجب عليه أن يغلق هذا الملف الأسود القاتم ، ويفتح ملفا جديدا نظيفا طاهرا مشرقا ، يغلفه نور الطاعة ، وعبير التوبة ، ليكون ربه راضيا عنه ، وليكون فى الآخرة من الآمنين ، الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون .

أيها الإخوة : تلك واقعة حدثت فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام لامرأة زلت ، وقد دونها التاريخ ووعاها الزمن؛ وتتمثل زلة تلك المرأة فى أنها إرتكبت جريمة الزنا وحملت نتيجة تلك الجريمة ولما كان الأمر كذلك ، فقد استيقظ

ضمير هذه المرأة ، وندمت على ما حدث منها ، وتألمت كل التألم ، وبعدئذ ذهبت إلى الرسول ـ عليه السلام ـ وقالت له فى نبرات حزينة : يا رسول اللَّه ، لقد زنيت وحملت من الزنا ووجب على الحد فأقمه على ، فاستدعى الرسول ولى أمرها ، ولما جاءه قال له الرسول : خذ هذه المرأة وعاملها بالمعروف ، وبعد أن تضع حملها وتسترد صحتها تعالى بها ، وأخذها الرجل وبعد الوضع واسترداد الصحة ، ذهب بها إلى رسول اللَّه ، وعندئذ أمر الرسول برجم هذه المرأة بالحجارة إلى أن لفظت أنفاسها الأخيرة ، ثم غُسِّلَتْ وكُفِّنَتْ وصَلَّى عليها الرسول ودُفِنَتْ ، وقد اعترض عمر بن الخطَّاب ـ رضى اللَّه عنه ـ على الرسول لصلاته عليها ، فقال له : يا عمر : لقد تابت توبة لو قسمت على أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت أفضل من أنها جادت بروحها فى سبيل اللَّه ؟ وصدق الرسول عليه السلام حيث قال : « **التائب حبيب الرحمن ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له**» [الطبرانى] .

٤ـ [المكانة السامية للرسول وأمته]

الحمد للَّه أرسل محمدا عليه الصلاة والسلام بالهدى ودين الحق ، وكرمه وكرم أمته إكراماً له ، وجعل له ولها المكانة العالية والمنزلة الرفيعة دنيا وأخرى ، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد اللَّه ورسوله ، وحبيبه ومجتباه ، وصاحب الشفاعة العظمى يوم لقاء اللَّه ، صلوات اللَّه وسلامه عليك يا رسول اللَّه ، وعلى آلك وأصحابك ، الأقوياء فى عقيدتهم ، المثاليين فى أخلاقهم ، فرضى اللَّه عنهم وأرضاهم أجمعين .

أيها الإخوة الموحدون : إن رسول الأمة المحمدية شخصية فذّة فريدة ؛ فى العقيدة والسلوك ،فى السمو الأخلاقى ، فى الفضائل والمثالية فى جميع الجوانب، فى حسن التعامل مع اللَّه ومع غيره من الناس ، فهو بحق قمة فى شخصيته وتعامله ، وكيف لا يكون بهذه الصورة المثالية ؟ وهو الذى رباه خالقه ، وأدبه ربه ، وجعله فى أفضل صور المثالية ، وما دام ربنا هو الذى ربى وأدب ، كان لابد لهذا الرسول العالمى أفضل منزلة وأسمى مكانة ، وكان من الضرورى أن يكون متميزا فى كل شىء ، وأن يكون أفضل خلق اللَّه أجمعين .

وقد تدرج الرسول عليه الصلاة والسلام فى معارج الكمال الإنسانى ، إلى أن وصل إلى العمر الذى يؤهله لحمل أمانة الدعوة إلى اللَّه ، وكان ما كان من اختيار اللَّه لرسوله على رأس الأربعين من عمره ، لكى يحمل أمانة العقيدة التوحيدية العالمية، ويبلغها للإنس وللجن كما أمر اللَّه ، فهو رسول عالمى ، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين ، فلا رسول بعده ، ولا رسالة بعد رسالته ، وهو ليس رسولاً للإنس فحسب ، وإنما هو رسول للثقلين ، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على

ما لهذا الرسول العظيم من سمو المكانة وعلو المقام ، وكمال الشخصية . فهو عليه السلام بحق أفضل الخلق ، وأعظمهم منزلة عند اللَّه ، وهو أُرْسِل من قبل ربه ليكون رحمة فى الأرض وعنواناً عظيماً للإنسانية المهذبة .

وجوانب عظمة الرسول عليه السلام متعددة ، وقد أشاد به القرآن الكريم وكرّمه ، وهذه شهادة ربانية قرآنية بسمو خلق هذا الرسول ، وذلك فى قول اللَّه تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤] وتلك شهادة أخرى من اللَّه بأن محمدا عليه السلام رحمة ، وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الانبياء : ١٠٧] كما وصفه اللَّه تبارك وتعالى بالرأفة والرحمة ، وذلك فى قوله جل شأنه : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة :١٢٨] وقد جاء القرآن الكريم بلين الرسول فى تعامله مع غيره ولكن فى حزم ومن منطلق الرحمة، ونفى عنه فظاظة وغلظة القلب ، وذلك فى قول ربِّ العزَّة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران :١٥٩] وربُّ العزَّة جلَّ شأنه قرر فى القرآن الكريم بأن محمدا عليه الصلاة والسلام نور ليبدد ظلام العقائد الفاسدة وذلك فى قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[المائدة : ١٥] فالنور هو محمد ﷺ ، والكتاب المبين هو القرآن الكريم، ثم إن ربَّ العزَّة ربط طاعة الرسول بطاعته، وهذا دليل واضح على ما للرسول عليه السلام من علو المنزلة لدى اللَّه ، وصدق سبحانه حيث قال : ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[النساء : ٨٠] واتباع الرسول علامة الحب للَّه ، والاقتداء به يؤدى إلى غفران اللَّه وصدق ربُّ العزَّة حيث قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران:٣١] .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة ومساحات واسعة فيها إشادة برسول اللَّه، وبيان صادق أمين عن شخصية هذا الرسول الذى حمل أضخم رسالة ، وبلغها

إلى خلق اللّه بجدارة ، مع أنه قوبل بصعاب جمّة ، وحروب شرسة ، ومؤامرات حاقدة خسيسة ، ولكنه انتصر بنصر اللّه له ، وحطم بمعونة ربه الأوثان التى كانت تعبد من دون اللّه ، وبما امتاز به الرسول من شمائل عالية، وسجايا حميدة ، استطاع أن يقيم بنيان أمة التوحيد ، على أسس المعرفة باللّه ، ودعائم الإيمان بالخالق العظيم ، وكان بنياناً شامخاً ، ترفرف فوقه ألوية العبادة لله دون سواه ، وفى الحديث الشريف المتفق عليه يخبرنا الرسول عليه السلام بأنه آخر لبنة فى بنيان العقيدة السليمة ، وأنه خاتم النبيين ، وهذا هو النص الوارد عنه صلوات اللّه وسلامه عليه فى هذا الشأن : « **إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمّله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون:هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين** » [متفق عليه] .

هذا هو رسولنا وحبيبنا وحبيب ربنا ، إنه حاز الشرف العظيم ، وبلغ قمة الكمال الإنسانى ، بما اتصف به من صفات جليلة ، وقد كرمّه ربه كل التكريم ، ورفع ذكره ، وأعلى قدره ، وشرح له صدره ، وحفظه من شر الأشرار ، ورعاه فى مسيرة حياته ، فهو بحق رمز الكمال ، وأشرف خلق اللّه ، وأحب الخلق إلى اللّه .

أما أمة هذا الرسول الخاتم،فهى الأخرى كُرّمت من قبل اللّه تعالى،وقد مدحها ربنا فى القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾[آل عمران : ١١٠] فالأمة المحمدية نالت الخيرية وحظت بالشرف ، وفازت بهذا التكريم الربانى ، لأنها أمة محمد ﷺ ، ولأن رسول هذه الأمة قد كرم من ربّه ، ولأنها منسوبة إلى هذا الرسول المكرم ، كان التكريم لها تبعا لتكريم هذا الرسول ، ومما يزيد فى رفعة شأن رسول اللّه أن تكرم أمته كما كُرم ، وتنال التقدير من اللّه كما نال . .

إننا أمة محمد ﷺ ، وقد نلنا هذا التشريف من اللّه ، فإن الواجب يفرض

علينا نحن أبناء هذه الأمة ، أن نكون أمناء مع اللَّه ومع رسول اللَّه ، وذلك بأن ننفذ بكل صدق وأمانة تعليمات ربنا أمراً أو نهياً ، وكذلك بالنسبة لتعليمات رسول اللَّه ، وعندما نكون بهذه الصورة الطيبة ، فإننا نظل مكرّمين من اللَّه ومن رسول اللَّه ، ومحتفظين بخيريتنا التى هى وسام تشريف لأمة رسول اللَّه . وخيرية اللَّه لنا مشروطة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإذا نفذنا هذين الشرطين فإن الخيرية تكون مستمرة ولاصقة بنا ، أما إذا أهملناهما ولم نحققهما سلبت هذه الخيرية منا، ونسأل اللَّه سبحانه ألا يحرم الأمة المحمدية من هذه الخيرية ، وأن نوفق فى تحقيق شرطى الخيرية وهما : الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر ، وصدق الرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه حيث قال: « **الدين النصيحة ، قلنا: لمن يا رسول اللَّه ؟ قال : للَّه ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** » [مسلم] .

٥ـ [من فضائل الرسول عليه الصلاة والسلام]

الحمد للّه حمدا كثيراً ، والثناء المستطاب منا لربنا عزّ وجلّ ، لما له من فضل كبير ، ونعم جمّة لا تعد ولا تحصى ، وأشهد ألا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، ولا مماثل له ولا ند ، وليس لأحد أن يتدخل فى نظامه البديع ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد اللّه ورسوله ، جَمَّلَه اللّه بأعظم الشمائل ، وأرفع الفضائل ، وأفضل الخصال ، صلوات اللّه وسلامه عليك يا رسول اللّه ، وعلى آلك وأصحابك ، الذين سعدوا بدعوتك ، وعزوا بالانتماء إلى دين الإسلام ، فرضى اللّه عنهم وأرضاهم أجمعين .

أيها المسلمون : لقد كان رسول الإسلام محمد صلوات اللّه وسلامه عليه النموذج الكامل للإنسانية ، والمثل الأعلى للبشرية ، ولهذا اختاره ربه ليكون الرسول العالمى ، وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين ، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث قال : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ [الاحزاب : ٤٠] .

إنه عليه الصلاة والسلام تحلى بكل الفضائل ، وتخلى عن جميع الرذائل ، فالفضائل شيمته ، والسجايا الحميدة حليته ، ومن كان على هذا المستوى العالى من الخلال الرفيعة ، فإنه يكون بعيداً كل البعد عن أى شيء يشوه شخصيته ، فلا اقتراف إذاً لمعصية ، ولا اقتراب من رذيلة ، ولا رغبة فى أعمال شائنة . . إنه عليه الصلاة والسلام ارتدى لباس الفضائل ، وعاش مع أجمل المحاسن ، ولهذا كان له رصيد كبير من الاحترام والتقدير ، وتلك شيمة من شيم الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهى العفو عند المقدرة ، ولقد سجل التاريخ فى سجله الذهبى بمداد عطرى هذه الفضيلة ، ووعاها الزمان ونقلها إلى العالم ليعرف الناس ما لهذا

الرسول من فضائل جمَّة فى ميادن كثيرة، ومنها: العفو عند المقدرة .

ومما نقله لنا التاريخ فى هذا الميدان أن رجلاً على غير دين الإسلام وجد الرسول تحت شجرة فى وقت قيلولة ، وعندئذ انتهز ذلك الرجل الفرصة السانحة أمامه ، وذهب إلى رسول اللَّه وشهر سيفه فى وجهه وقال له فى تحد سافر : يامحمد من يمنعك منى، ومَنْ يحول بينى وبين قتلك ؟ فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام فى نبرات إيمانية : اللَّه هو الذى يمنعك منى ، ويحول بينك وبين قتلك لى ، وما أن انتهى الرسول من كلامه إلا وسقط السيف من يد المشرك على الأرض ، فأخذه الرسول وشهره فى وجه ذلك الرجل، وقال له : وأنت من يمنعك منى ؟ فرد عليه الرجل بقوله كن خير آخذ ، فماذا كان موقف الرسول من هذا الرجل الذى أراد قتله وأصبح فى هذا الموقف الحرج ؟ وهل الرسول انتقم منه وقتله بعد أن صار فى قبضته ؟ إنه عليه السلام وهو الذى فى موقف القوة لم ينتقم من الرجل ، وإنما عفا عنه وصفح ، ولم يهدد حياته وإنما أطلق سراحه ، وعفا عنه بصورة تسترعى الانتباه ، وتؤكد أنه فى قمة الفضائل ، وقبل أن يرحل الرجل عرض عليه الرسول الإسلام، فقال له الرجل : سأظل على عقيدتى ولكنى لن أقاتلك ، ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، وخلى الرسول سبيله وأعطاه سيفه ، وبعد أن التقى هذا الرجل بالمشركين الذين هم على شاكلته فى فساد العقيدة ، قال لهم : لقد جئتكم من عند خير الناس ، وذكر لهم ما حدث . إنه لموقف رائع كل الروعة ، وهو يبرهن على العفو المحمدى وهو فى موقف القدرة على الانتقام، بعد أن وقع السيف من يد الرجل وصار فى يد رسول اللَّه.

وهناك موقف أسمى وأعظم ، إذ إنه بالرغم مما حدث من الكفار ضد الرسول والمسلمين والدعوة ، وما قدموا من إساءة بالغة وحروب وتآمر على قتل الرسول ؛ بالرغم من هذا كله ، كان العفو المحمدى عن هؤلاء الكفار ، وكان القرار

الإنسانى الرائع بعدم إيذائهم ، مع أن الكفار كانوا يتوقعون من الرسول إنزال أشد العقوبات عليهم بعد أن صار فى موقف القوة ، وبعد أن جاء مكة فاتحاً منتصراً ، وقال لهم تلك العبارة التاريخية التى سجلت فى كتاب الفضائل الإنسانية بأحرف من نور ، قال لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ولقد استولت الدهشة على الكفار بعد سماعهم هذا القول المحمدى ، وصاروا يقولون . أحقاً ما سمعناه ؟ إننا ارتكبنا كثيراً من الأخطاء فى حق هذا الرسول وأصحابه ودعوته ، وكنا نتوقع الإعدام الجماعى لنا نحن الذين أسأنا كل الإساءة إليه . أما وقد عاملنا بهذا الخلق الفاضل ، وعفا عنا ولديه القدرة على عقابنا ، فإن من الواجب علينا أن ندخل فى دين محمد ، ونقدر كل التقدير هذا الرسول ، وندافع بصدق وإخلاص عن دعوته، وما كان منهم إلا أن جسدوا كلامهم إلى واقع ودخلوا فى دين اللَّه أفواجاً . . إن هذا الموقف المحمدى الرائع ، أثر كل التأثير فى أولئك الذين كانوا يحاربون الرسول ويحاولون القضاء على دعوته ، ولهذا أعلنوا إسلامهم واعتنقوا دين الإسلام وعاشوا فى رحابه واستظلوا بظله الوارف ، وجندوا أنفسهم للدفاع عنه . وقد جاء القرآن الكريم بسورة «النصر » ، وفيها يبين اللَّه لرسوله نصره له، وتمكينه من دخول مكة ، ودخول الكفار دين الإسلام أفواجاً بعد عفوه عنهم، وطلب ربنا من رسوله أن يحمده ويسبحه على ما أكرمه به من نصر مؤزر، وصدق سبحانه حيث قال : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[النصر : ١-٣] .

هذا جانب من جوانب عظمة رسول اللَّه ﷺ ، وجوانب عظمته كثيرة ، وشمائله غزيرة ، وهو عليه السلام لم يكتسب هذه العظمة من أبيه أو أمه أو قبيلته أو مجتمعه ، ولم يأخذها من مدرسة ولا جامعة ، إذ إن أباه مات قبل أن يولد الرسول ، وأمه لم تكن ذات يَسَارٍ ، ثم إن مجتمعه كان خالياً من المدارس

والجامعات ، وعاش فى بيئة أمية ، وإذاً فعظمته عليه السلام ناشئة عن التربية الإلهية ، والأدب الربانى ، والتوجيه السماوى ، وهو قد أكرمه اللَّه بالعلم ، وكرَّمه بنزول القرآن الكريم عليه ، وقد وعاه صدره ، واحتواه عقله ، وأشرق بنوره قلبه .

إن الرسول عليه السلام عُلِّم من قِبل ربه ، وتولاه خالقه بالرعاية من مولده حتى وفاته ، وكان دائماً معه بحفظه من أعدائه ، وعلَّمه مالم يكن يعلم وصدق سبحانه حيث قال له : ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**﴾[النساء: ١١٣] وهو قد آواه اللَّه وهداه وأغناه ، وجاءت الآيات القرآنية تقرر هذه المعانى ، وقد بدئت بالاستفهام التقريرى الذى يبين أن ما يذكره بعده إنما هو حقيقة وواقع ، وَتِلْكُمُ هى الآيات التى تبين فضل اللَّه على رسوله : ﴿**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ**﴾[الضحى : ٦ ـ ٨] ، ثم إنه فى موضع آخر يقول ربنا لنبيه : ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾[الشرح: ١ـ٤] .

إن فضل اللَّه على الرسول لعظيم ، وإن نعمه عليه لغزيرة، وصدق صلوات اللَّه وسلامه عليه حيث قال : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » [البخارى] .

٦ـ [من فضائل الإسلام الصدق]

الحمد للَّه جعل الصدق هادياً إلى البر ، والبر هادياً إلى الجنة ، والصادقون أحباب اللَّه ، ومن أحبه اللَّه لا يضام ، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، قبح الكذب وقبّح الكذّابين ، وحرمهم من رضاه ، وأبعدهم عن ساحة رحمته ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد اللَّه ورسوله ، وحبيبه ومجتباه ، عرف بين قومه بالصدق والأمانة ، فهو الصادق الأمين ، صلوات اللَّه وسلامه عليك يا رسول اللَّه ، وعلى آلك وأصحابك ، الذين هدوا إلى الحق وإلى صراط مستقيم، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

أيها الإخوة الأحبة : الصدق صفة نبيلة ، وهو من أعظم الفضائل الإيمانية ، وربُّ العزَّة ـ جلَّ شأنه ـ وصف ذاته الكريمة بفضيلة الصدق ، وصدق سبحانه حيث قال فى كتابه الكريم : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء:٨٧] ،وحيث قال جلَّ جلاله : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء:١٢٢] ، فالله كلامه صدق ، وقوله صدق، وحديثه صدق ، وسفراؤه إلى خلقه هم كذلك موصفون بالصدق ، لأنهم يبلغون عن اللَّه، ويوجهون الخلق إلى الإيمان باللَّه ، ولذا كان من ألزم اللوازم وأوجب الواجبات ، أن يكون أنبياء اللَّه ورسله، ممن عرفوا بين أقوامهم بالصدق.. وللصدق آثار حميدة فى حياة الإنسان ، والصدق منجاة من المهالك ، والكذب مهواة ومؤدٍ إلى أسوأ العواقب ، والصادقون أحباب اللَّه ، ولهم الثواب العظيم يوم لقاء اللَّه ، وهذا هو القرآن الكريم يقرر تلك الحقيقة ، ويبرز أثر الصدق فى أطيب صورة ، ويبين الثمرة الحلوة المترتبة على تلك الفضيلة ، والمنزلة السامية لمن تحلوا بالصدق وعاشوا فى رحابه ، وذلك فى قول اللَّه تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة :١١٩] .

إن هذه الآية تحمل عدة مكافآت من اللَّه تبارك وتعالى لأحبابه الصادقين ، فالجنة من نصيبهم والخلود فيها متواصل دائم ، وهناك أنهار تجرى من تحت تلك الجنات المعدة لمن صدقوا فى دنياهم ، مما يضفى على تلك الجنات الجمال الفائق ، والحسن الذى لا نظير له ، وتتوج مكافآت اللَّه لهؤلاء الأحباب الصادقين برضا اللَّه ومحبته ، وهنيئا لمن يعيشون فى رضا اللَّه ، وهم كذلك راضون بما أكرمهم اللَّه به ، فهو رضا متبادل ، وما أحسن أن يكون الرضا بهذه الصورة ثم ماذا بعد ذلك؟ إن الفوز العظيم والنعيم المقيم لاصق بهم، وسيظلون كذلك دائماً وأبداً. . إنه إذا كانت النتيجة بهذه الصورة وذلك الحجم، أفليست هى نتيجة ممتازة؟

أيها الإخوة لأكثر وأكثر من ممتازة . وممن هذه المكافآت المترتبة على الصدق ؟ إنها من اللَّه الذى لا تنفذ عطاياه أبداً .

وهذه آية أخرى من كتاب اللَّه تعالى ، يتحدث فيها ربنا عن بعض الصفات الإيمانية ومن بينها الصدق، ثم يذكر الثمرة المترتبة على تلك الصفات والتى تتمثل فى مغفرة اللَّه ورضوانه والأجر العظيم الذى لا حدود له، وصدق ربُّ العِزَّة حيث قال: **﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾**[الأحزاب: ٣٥].

إن الصدق صفة من الصفات الإيمانية التى لا تنفك عن الإيمان ، وهذه الصفة من لوازم عقيدتنا ، وسمة بارزة من سمات أحباب اللَّه ، أما الكذب: فهو من أقبح الرذائل ، ومن أشنع الموبقات ، ولهذا فالدين جعل الإيمان والصدق قرينين، والكذب والكفر متلازمين ، ورسول الأمة المحمدية بيّن لنا أن الإيمان لا يجتمع مع رذيلة الكذب فى قلب امرئ مسلم أبداً ، ولذا قيل له عليه الصلاة والسلام: « **أيكون المؤمن بخيلا ؟ قال: نعم ، قيل: أيكون المؤمن جباناً ؟ قال: نعم ،**

قيل : أيكون المؤمن كذابا ؟ قال: لا. لا يجتمع الإيمان والكذب فى قلب امرئ مسلم أبداً».

أيها الإخوة : الصدق من أعظم الدلائل الإيمانية ، ومن أفضل ما يتجمل به المؤمن .

وللصدق آثاره الطيبة فى الوصول إلى أحسن النتائج ، وتحقيق الأمنيات التى يهفو إليها قلب الإنسان ، ومما يدل على ذلك ، أن الحجاج الثقفى خطب يوم الجمعة فى أحد المساجد وأطال الخطبة ، ولما كان الأمر كذلك ، قام أحد الحاضرين محتجا على طول الخطبة ، قائلاً للحجاج أمام المصلين ، الصلاة الصلاة ، فإن الوقت لا ينتظرك ، والرب لا يعذرك ، وبعد أن انتهى الحجاج من الصلاة ، أمر بحبس هذا الرجل الذى تجرأ عليه واحتج على طول الخطبة أمام المصلين ، وأودع الرجل السجن ، وهنا ذهب أهل الرجل السجين إلى الحجاج ، طالبين منه العفو عن قريبهم الذى سجن بسبب اعتراضه على طول الخطبة ، وقالوا له: إنه قال ما قال دون وعى لأنه مجنون ، فقال لهم الحجاج : إن أقرّ هذا الرجل بالجنون أطلقت سراحه ، وذهب الأقارب إلى قريبهم طالبين منه ادعاء الجنون ليخلى الحجاج سبيله ، فنظر إليهم نظرة استخفاف، وقال لهم : معاذ اللّه أن أدعى الجنون وقد عافانى اللّه منه ، ولم يقبل هذا الرجل أن يكذب مهما كانت النتائج لصالحه، وعلم الحجاج بموقف هذا الرجل الصادق ، فأعجب بصدقه كل الإعجاب ، وما كان منه إلا أن أصدر أمره بالعفو عن هذا الرجل ، لأنه لم يقبل أن يكون كاذباً حسبما طلب منه ، ورفض أن يلوث لسانه برذيلة الكذب ، وهكذا أطلق الحجاج سراح هذا الرجل بسبب صدقه ، أليس هذا الموقف موقفاً رائعاً ؟ إنه حقا لموقف إيمانى عظيم ، وهنيئاً لمن يتصفون بفضيلة الصدق ؟ ، ويبتعدون عن رذيلة الكذب .

أيها المسلمون : الصدقّ مطلوب فى عقيدة الإنسان ، وهو مطلوب فى نية

الإنسان عندما يريد عمل شيء من الأشياء ، وحينما يريد أداء عبادة من العبادات ، ومطلوب أيضاً فيما يتلفظ به اللسان، والصدق معناه المطابقة للحقيقة والواقع ، فلنكن دائماً صادقين فى عقيدتنا ، فى نياتنا ، فى عباداتنا ، فى كل ما تتفوه به ألسنتنا ، وبهذا الصدق يكون النجاح دنيا وأخرى ، والرضا العظيم من اللّٰه تبارك وتعالى .

أما الكذب: فهو عدم المطابقة للحقيقة والواقع ، وما أسوأ أن يكون الإنسان فى إطار الكذب ، إنه إذا كان الأمر كذلك ، فإن العاقبة تكون سيئة كل السوء دنيا وأخرى . . إن الدين الإسلامى بنى على الصدق ، فلنكن صادقين مع اللّٰه ، ومع رسله ، ومع أنفسنا ، ولنكن بعيدين عن الكذب مهما كانت النتائج ، واللّٰه يحب الصادقين ويبغض الكاذبين ، وصدق الرسول صلوات اللّٰه وسلامه عليه حيث قال: « **عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند اللّٰه صديقاً ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند اللّٰه كذاباً** » [البخارى ومسلم] .

٧ ـ [الإيثار خلق إسلامى فاضل]

الحمد للَّه مدح الذين يتحلون بفضيلة الإيثار وحب الخير للغير ، لأنهم بهذا الخلق النبيل أرضوا ربهم ، وكانوا قدوة حسنة لغيرهم ، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، يحب ذوى الأخلاق الفاضلة من عباده المؤمنين ، وهى لهم أوسمة فوق صدورهم ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد اللَّه ورسوله ، ، عرف بين قومه بسمو الأخلاق ونبل الشيم ، وصدق ربُّ العزة حيث قال لرسوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] صلوات اللَّه وسلامه عليك يا رسول اللَّه ، وعلى آلك وأصحابك ، الذين تأسوا بك ، ونهجوا نهجك فى الكمال الإنسانى ، فرضى اللَّه عنهم وأرضاهم أجمعين .

إخوة الإيمان والإسلام : من الأخلاق العالية الفاضلة ، التى اكتسبها المسلم من توجيهات الدين الإسلامى ، خُلُقُ الإيثار وحب الخير للغير ، والمسلم الذى تحلى بهذا الخلق الكريم ، نراه مؤثرا غيره على نفسه ، ونتيجة لهذا قد يجوع ليشبع غيره ، ويعطش ليروى سواه ، بل قد يموت فى سبيل حياة آخرين .

أجل : قد يصل إلى هذه الدرجة العالية من الإيثار ، لأن روحه تشبعت بهذا الخلق الإسلامى العظيم ، وكل أخلاق المسلم الحقيقى ، مستقاة من ينابيع الحكمة المحمدية ، ومستوحاة من تعاليم الرسول الكريم الذى هو القدوة ، والمعلم والمربى، والموجه والمرشد ، والذى قال وقوله حق وصدق: « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » [البخارى و مسلم] .

وهذا هو على بن أبى طالب ـ كرم اللَّه وجهه، ورضى عنه ـ، وتلك هى زوجه فاطمة ابنة الرسول عليه السلام، يضربان أروع المثل وأعظمه فى فضيلة

الإيثار لأمة الإسلام ، وقد تناول القرآن الكريم موقفهما العظيم بالمدح والثناء ، وبين لأمة الإسلام ما ترتب على هذا الموقف المثالى من تقدير عظيم ، وما أعده اللّٰه تبارك وتعالى لعلى وزوجه فى الآخرة من الأجر الكبير والثواب العظيم ، وما ينتظرهما من مستقبل باسم مشرق فى جنات ونهر يوم لقاء اللّٰه .

وتلك هى القصة على ضوء ما جاء فى القرآن الكريم ، وبيان ذلك أن عليا وفاطمة رضى الله عنهما كانا صائمين ، وبينما طعام الإفطار أمامهما تمهيدًا لفطرهما عليه بعد غروب الشمس ، إذ بطارق يدق باب البيت ، وبعد أن فتح الباب قال هذا الطارق : أنا مسكين وجائع ، وقد قصدت هذا البيت لإطعامى وسد جوعتى، فما كان من على وزوجه إلا أن أعطياه كل الطعام المعد للإفطار وهما فى أمس الحاجة إليه ، لكنهما آثرا هذا المسكين على نفسيهما وأعطياه ما لديهم ، وفى اليوم الثانى كانا أيضا صائمين ، وقرب وقت الغروب وضع الطعام المعد لهما ليفطرا عليه، وعندئذ طرق الباب طارق ، وفتح الباب ، وإذا بمن يقول : أنا يتيم بائس ، ومضت مدة كبيرة على دون تناول الطعام ، فأطعمونى يطعمكم اللّٰه ، وكما حدث فى اليوم الأول حدث مثله فى اليوم الثانى ، حيث أعطيا هذا اليتيم الطعام المعد لهما ـ لعلى وزوجه ـ، مع أنهما فى أشد الحاجة إليه ، لكنه الإيثار وحب الخير للغير ، وفى اليوم الثالث صام على وزوجه ، وأعد الطعام الذى يفطران عليه ، وبينما هما ينتظران ، إذ بطارق يدق الباب ، وفتح الباب ، وإذا برحل يقول: أنا أسير وجائع ، وبطنى فى أشد الحاجة إلى طعام ، فأطعمونى يطعمكم اللّٰه ، وكما حدث فى اليومين الأول والثانى حدث مثل ذلك فى اليوم الثالث ، حيث أعطيا هذا الأسير الطعام المعد لإفطارهما ـ على وزوجه فاطمة ، مع أنهما جائعان ويفطران على الماء . .إلا إنه الإيثار فى أسمى معانيه ، وحب الخير للغير فى أنضر مجاليه ، وإنه الكرم العظيم ممن تحلى بالخلق العظيم ، وهذا هو القرآن

الكريم يشيد بهذا الصنيع أيما إشادة ، ويتحدث عن المكافأة الربانية لعلى وزوجه ، لإيثارهما وكرمهما وحسن صنيعهما ، وتفضيل المسكين، واليتيم، والأسير على نفسيهما وهذا هو ما جاء فى كتاب اللّه تبارك وتعالى ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ⑧ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ⑨ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ⑩ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ⑪ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ⑫ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا ⑬ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ⑭ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ⑮ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ⑯ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ⑰ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ⑱ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ⑲ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ⑳ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ㉑ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإنسان ٨ ـ٢٢] تلكم هى الآيات القرآنية زفت البشرى بما أعده اللّه من مكافأة نفيسة لعلى وفاطمة ، لأنهما نموذجان عظيمان فى الكرم والإيثار ، والجود والسخاء ، ولأنهما ضربا أروع الأمثلة فى هذا الميدان العظيم ، ميدان الإيثار وحب الخير للغير .

أيها المسلمون : لو أن المسلمين تخلقوا بخلق الإيثار ، وبالصورة التى كان عليها السلف الصالح ، لكان المسلمون فى أسعد حال وأهنأ بال ، ولأثبتوا للعالم أجمع أنهم على قلب رجل واحد ، وأن أحاسيسهم واحدة ، ومشاعرهم واحدة، وأنهم متعاونون فى ميدان الخير . . إنهم عندما يكونون على هذا المستوى العظيم من القلوب المتواصلة ، والتخلق بالأخلاق الإيمانية الفاضلة ، فإنهم يرضون ربهم، ويعيشون أعزة على الأرض ، وينظر إليهم العالم نظرة تقدير ، فليكن المسلمون بهذه الصورة المشرقة ، من التعاون البناء ، والإيثار الإيمانى ، والسخاء

والكرم ونبل المشاعر والأحاسيس ، إنهم إذا حققوا تلك المعانى السامية ، واقتدوا بالسلف الصالح فى سمو الأخلاق ، وتأثروا بالنماذج الممتازة التى ترفض الأنانية وحب الذات ، إنهم عندئذ يكونون فى القمة سلوكاً ونبلاً ، ويسجلون لأنفسهم فى سجل الفضائل أعظم سيرة وأعطر حياة . ونحن إذا نظرنا إلى موقف الأنصار أهل المدينة المنورة مع المهاجرين أهل مكة ، لوجدناه موقفاً إيمانياً رائعاً ، حيث تجلى إيثار الأنصار فى أسمى معانيه ، وقد نقل القرآن الكريم هذا الموقف الرائع فى قول اللَّه تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر : ٩] وصدق الرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه حيث قال : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» [البخارى، ومسلم] .

٨ ـ [يوم الجمعة يوم عظيم]

الحمد للَّه على وافر نعمه وتواصل فضله وكرمه ، ورعايته الدائمة القائمة على رحمته ، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، توج أيام الأسبوع بيوم ميمون أغر ، له مكانته فى الإسلام ، ومنزلته السامية على مدى الأزمان ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد اللَّه ورسوله ، كان يعتز بيوم الجمعة كل الاعتزاز ، لأنه يوم نفحات ورحمات وفيوضات ، صلوات اللَّه وسلامه عليك يا رسول اللَّه ، وعلى آلك وأصحابك ، الذين كانوا يعتبرون يوم الجمعة عيدهم الأسبوعى ، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

إخوة الإيمان والإسلام : يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع وأطيبها ، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذا اليوم وكرمّه ، وبين للمؤمنين أنه ليس يوما عاديا كغيره من الأيام ، وإنما هو يوم مبارك عامر بالخير ، ولما لهذا اليوم من أهمية فى دنيا الناس، كان الأمر الإلهى من السماء للمؤمنين ، بترك كل المصالح الدنيوية فى جزء من هذا اليوم ، والتوجه إلى بيوت اللَّه فى أرضه وهى المساجد ، والسعى إليها بسكينة ووقار للقيام بالشعائر الدينية فيها ، ومنها الذكر والدعاء ، والاستغفار والتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة ، والاستماع فيها إلى موعظة الجمعة ، التى فيها الزاد الروحى والغذاء المعنوى ، وعقب تلك الموعظة تؤدى صلاة الجمعة فى خشوع لله، ووقفة مؤدبة خاشعة أمام اللَّه ، وقد نسبت هذه الصلاة إلى الجمعة اهتماما بشأنها ، وتعظيماً وتقديراً لها ، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث قال فى القرآن الكريم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة:٩] وهذه الآية الكريمة تحث المؤمنين

وتأمرهم بالسعى إلى بيوت اللّه لأسمى هدف وأعظم غاية ويتمثل هذا الهدف وتلك الغاية فى عبادة اللّه ، والتقرب إليه بما يرضيه جلّ شأنه، وعدم الاشتغال بأى شىء آخر من ضروريات الحياة أثناء تلك الفترة التى خصصت لأداء العبادة فى ضيافة اللّه ، والخير كل الخير فى عبادة اللّه ، ورضا اللّه يتوقف على التقرب إليه سبحانه وتعالى بالعبادة الخالصة ، ثم بعد الانتهاء من أداء شعائر الجمعة يكون الانتشار فى الأرض ، والسعى المشروع للحصول على الرزق ، مع عدم الغفلة عن ذكر اللّه ، لأن ذكر اللّه أمر ضرورى ، وفيه غذاء للقلوب ، ونقاء للنفوس ، وهو طريق الفلاح وسبيل السعادة، يدل على ذلك قول اللّه تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

إنه لتوجيه حكيم من رب حكيم ، وإنه لتنزيل رب العالمين ، فهنيئًا لمن يحترم توجيه اللّه ، وبشرى لمن يترجم بأمانة وإخلاص عن عقيدته ، وربنا جل شأنه لا يوجهنا إلا إلى طريق الخير ، ولا يأمرنا إلا بما فيه يسر ، وديننا الإسلامى مبنى على اليسر : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] وصلاة الجمعة فريضة دينية ، وشعيرة من شعائر الإسلام ، وترك هذه الفريضة يودى إلى غضب اللّه ، وعدم أدائها يدل على الغفلة الضارة ، وعلى أن الشيطان يتحكم فى المتهاون بهذه الشعيرة الإيمانية ولذا قال رسول اللّه ﷺ: « **لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ، أو ليختمنّ اللّه على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين**» [رواه مسلم].

وقال: « **من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع اللّه على قلبه** » [رواه الخمسة] .

إن يوم الجمعة أشرف يوم طلعت فيه الشمس أو غربت ، وقد هدى اللّه الأمة المحمدية إلى هذا اليوم وضل غيرها عنه ، وفى هذا اليوم ساعة لا يسأل المؤمن فيها شيئا من ربه إلا أعطاه إياه وحققــه له ، يدل على ذلك قول الرسول ﷺ :

« ماطلعت الشمس ولا غربت على يوم خيرا من يوم الجمعة»، هدانا اللَّه له وضل الناس عنه ، فالناس لنا فيه تبع ، فهو لنا، واليهود يوم السبت ، والنصارى يــوم الأحد، إن فيه لساعة ، لا يوافقها مؤمن يصلى يسأل اللَّه شيئا إلا أعطاه إياه » [البخارى و مسلم] .

أيها الإخوة : إن يوم الجمعة يسمى بهذا الاسم لاجتماع المسلمين فيه ، وتواجدهم فى المساجد بصورة جماعية ، لأسمى هدف وأنبل غاية ، وهى عبادة اللَّه ، فمن قراءة قرآن ، وسماع موعظة ، وأداء صلاة ، مما يقوى صلة المؤمن بربه ، ومما يكون له أطيب الأثر وأجمل النتائج دنيا وأخرى . .

وفى هذا اليوم العظيم يوم الجمعة ، خُلِقَ أبو البشر آدم عليه السلام ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها لتعمير الأرض .

وفيه تقوم الساعة ، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل اللَّه خيراً إلا أعطاه إياه كما جاء فى الأحاديث الصحاح .

ويوم الجمعة بما له من فضل وشرف ، يتطلب من المؤمن فيه أن يغتسل لصلاة الجمعة كغسله لرفع الجنابة ، ويلبس أحسن ما لديه من ملابس ، ويتعطر ليكون ذا رائحة طيبة ، وليكون فى أجمل صورة . ولقد بشر الرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه المؤمنين الذين يهتمون بيوم الجمعة ، ويذهبون إلى المساجد فيه مبكرين ، وفى أطيب حالة من النظافة والنضارة ؛ بشرهم الرسول بقوله: **« من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب أهله إن كان عنده ، ولبس من أحسن ثيابه ، ثم خرج حتى أتى المسجد ، فيركع إن بدا له ، ولم يؤذ أحداً ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلى، كانت له كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى »** [أحمد].

فهنيئاً لمن يذهبون إلى المساجد مبكرين يوم الجمعة ، لأن فى هذا التبكير زيادة

فى الأجر والثواب من اللّٰه تعالى، وفى الرواح إلى بيوت اللّٰه فى أجمل صورة خير عظيم ، والتبكير بالذهاب إلى المساجد ظاهرة إيمانية طيبة ، وهذا التبكير يدل على حب المساجد وشدة التعلق بها ، ورسول الإسلام عليه الصلاة والسلام أخبرنا عن سبعة من أمة الإسلام يظلهم اللّٰه تعالى يوم القيامة بظل رحمته ورضاه ، وذكر من بين هؤلاء السبعة رجلاً قلبه معلق بالمساجد ، ومما يؤكد زيادة الأجر لمن يذهبون إلى المساجد مبكرين قول رسول اللّٰه ﷺ : « **من اغتسل يوم الجمعة غسل الجمعة ـ أى كغسل الجنابة ـ ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة ، فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام** » [رواه الجماعة] .

والساعة الأولى: فى الحديث هى ما كانت قبل طلوع الشمس يوم الجمعة ، والثانية: بعد طلوع الشمس إلى ارتفاعها ، والثالثة: إلى انبساطها ، والرابعة والخامسة: بعد الضحى الأعلى إلى الزوال ، وإذا ففى التبكير زيادة فى الثواب من اللّٰه وما أحسن أن يكون المؤمن فى ضيافة اللّٰه ، وصدق الرسول صلوات اللّٰه وسلامه عليه حيث قال : « **الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر** » [مسلم] .

٩ ـ [أغنياء وفقراء لحكمة إلهية]

الحمد للّه جعل الناس مختلفين فى دنياهم ، فمنهم القوى ومنهم الضعيف ، ومنهم الغنى ومنهم الفقير ، وأشهد ألا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، نظم أمور خلقه بما فيه المصلحة ، وبنى سبحانه وتعالى كل أفعاله على الحكمة ، وهو صاحب الأمر والنهى ، والفعال لما يريد ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد اللّه ورسوله ، وحبيبه ومجتباه ، وصاحب الشفاعة العظمى يوم لقاء اللّه ، صلوات اللّه وسلامه عليك يا رسول اللّه ، وعلى آلك وأصحابك الكرام البررة، والذين جاهدوا فى اللّه حق جهاده بحق وصدق وشجاعة ، فرضى اللّه عنهم وأرضاهم أجمعين .

إخوة الإيمان والإسلام : كل أفعال اللّه مبنية على الحكمة ، ولم يجعل اللّه الناس جميعاً فى مستوى واحد ، وإنما أراد لهم أن يكونو متباينين ، ولهذا كان منهم من يملكون ثروة واسعة من المال ويعيشون فى قصور مشيدة ، ولديهم السيارات الفارهة ، وتتوفر لديهم كل وسائل الحياة المريحة ، وهناك من الناس من هم دون ذلك ، فهم يعيشون فى وضع أقل من النوع السابق ، وحياتهم حياة متوسطة ، فلا هى عالية ولا هى متدنية ، وهناك من يعيشون مع الفقر ، ويحيون فى ظل الفاقة ، ويحصلون على الرزق بمشقة ، ولا تتوفر لديهم الاستطاعة المالية، وهكذا نجد التفاوت واضحاً بين الناس فى حياتهم ، فلا هم جميعاً أغنياء ، ولا هم جميعاً فقراء ، ولا هم جميعاً فى مرتبة بين الأغنياء والفقراء ، وهو نظام ربّانى عادل ، وتفاوت مبنى على الحكمة الإلهية ، وأمثلة التفاوت كثيرة فى مجالات عديدة ، والقرآن الكريم تحدث عن هذا التفاوت ، وبين لنا هذا النظام الربانى ، الذى يستهدف المصلحة ، ويقوم على الحكمة ، وذلك فى قول اللّه

تعالى : ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[الزخرف :٣٢] إنها قسمة اللَّه، وهى قسمة عادلة حكيمة ، وإنه التوزيع الربانى الهادف ، والنظام الإلهى البديع ، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم بما فيه المصلحة ، ولو كان الناس جميعاً فى مرتبة واحدة لاختل نظام الكون ، ولتعطل دولاب العمل ، ولكانت الحياة مصابة بانعدام الحركة ، وإذاً تتضح لنا الحكمة الربانية من هذا التباين فى جميع المجالات، وهى التى جاءت بها الآية السابق ذكرها ، والتى جاء فيها قول ربنا : ﴿ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ .

تلك هى الحكمة من هذا التباين ، واللَّه أعلم بما فيه مصلحة عباده ، ثم إن هناك حديثاً قدسياً عن ربِّ العزة جلَّ شأنه يبين لنا فيه أن من الناس من لا يصلح له إلا الغنى ، ومنهم من لا يصلح له إلا الفقر ، وهذا هو النص القدسى :« **إن مِنْ عبادى مَنْ لا يصلح له إلا الغنى ولو أفقرته لفسد حاله ، وإن مِنْ عبادى مَنْ لا يصلح له إلا الفقر ولو أغنيته لفسد حاله** » .

وإذاً فالخير فيما اختاره اللَّه : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص :٦٨] ولكى لا يكون هناك طغيان مادى ، ولا فقر مخيف مزعج ، فإن اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ أمر الأغنياء بإخراج الزكاة فى أموالهم وفى حيواناتهم وفى زروعهم وفى تجارتهم ، وذلك لتحسين حال الفقراء ، ورفع المعاناة عنهم ، ولإشعارهم بأن هؤلاء الأغنياء معهم فى الصورة ، بالتعاون المثمر ، والتواصل البناء ، والقرآن الكريم بين أن الزكاة حق للفقراء ، وأنها ليست منحة أو هبة من الأغنياء ، وفى ذلك يقول رب العزة جل شأنه : ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات :١٩] .

والزكاة تطهير للأموال ، وفى إخراجها نماء وبركة ، وهى كذلك تطهير

للنفوس من رذيلة الشح، وصدق رب العزة حيث قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[التوبة :١٠٣] .

وإخراج الزكاة شكر لله على نعمه ، وبالشكر تزداد النعم، ويكثر الخير ، وينمو المال ، يدل على ذلك قول اللّه تعالى : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم :٧] ثم إن الغنى اختبار من اللّه للأغنياء ، وبالشكر للّه من جانبهم يكون النجاح ، والفقراء أيضاً يختبرون بفقرهم ، فإذا تحلوا بفضيلة الصبر ، يكون النجاح حليفهم، وينالون الثواب العظيم من ربهم ، وما أحسن الغنى الشاكر ، والفقير الراضى الصابر وإنه أولاً وأخيراً توزيع إلهى ، وتنظيم ربانى ، وما أعظم هذا التوزيع ، وما أفضل ذلك التنظيم .

أيه الإخوة : المال فتنة ، والأولاد فتنة ، والقرآن الكريم تحدث عن ذلك فى قول اللّه تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن :١٥] .

يكون المال فتنة إذا انحرف به الإنسان ، وأنفقه فى ميدان الشهوات ، واستخدمه فى الإضرار بالناس ، وتعالى به على غيره من خلق اللّه ، وسخره فيما يعود بالشر على الإنسانية ، إنه عندئذ يكون فتنة وشراً عليه ، وهو بهذا الاستخدام الشرير لماله يجلب لنفسه التعاسة والوبال والشقاء فى الدنيا والآخرة ، وما أحسن المال إذا لم يغيرّ سلوك الإنسان ، وما أدومه إذا جمع من المصادر الحلال ، ولم تشح النفس بإخراج ما هو مأمور به من زكاة ، إنه عندئذ يكون المال صالحاً نافعاً ، ويحقق صاحبه السعادة فى دنياه وأخراه وصدق رسول اللّه صلوات اللّه وسلامه عليه حيث يقول : « **نعم المال الصالح فى يد العبد الصالح** » [البخارى] .

وحذار يامن أعطاك اللّه مالاً أن يطغيك ، وكن متذكراً قول اللّه تعالى : ﴿كَلاَّ

إنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾ [العلق: ٦-٨] فالمال وسيلة إلى طغيان الإنسان ، وأداة لظلم الغير من الناس ، وهو يخل بالتوازن لدى بعض خلق اللَّه ، ولهذا يظلم ويعنف ، ويتكبر ويختال ، ويرتكب ما نهى اللَّه عنه ، وقد غاب فى ظل الرذائل قول اللَّه عمن ضل سواء السبيل : ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ فالمرجع إلى اللَّه ، والحساب العسير يوم لقاء اللَّه ، والجزاء هو نتيجة ذلك الحساب ، فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، ولا جاه ولا سلطان . . إن المال فتنة كبرى ولكن ليس عند كل الأغنياء ، فهناك منهم من يسخر ماله لنفع المجتمع، وينفقه فى ميادين الخير ، فيقيم مدرسة أو معهداً ، أو يشيد مسجداً أو مستشفى ، أو داراً للأيتام أو غير ذلك من وجوه الخير ، إن الغنى الذى يكون بهذه الصورة المشرقة ، قد رضى اللَّه عن صنيعه،وسجل عمله الخيرّ فى ميزان حسناته،ويوم القيامة يكون فى جنات ونهر،فى مقعد صدق عند ربٍّ راضٍ عنه،لأنه ينطبق عليه قول الرسول عليه الصلاة والسلام:«**نعم المال الصالح فى يد العبد الصالح**» [البخارى] .

١٠ـ [أنواع النفوس واتجاهاتها]

الحمد للَّه جعل النفوس أنواعاً مختلفة ، ولذا نجد منها ما تكون متجهة إلى طاعة اللَّه ، ومنها ما تكون متجهة إلى ميدان الشيطان ، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، يعلم كل شيء عنا ولو كان خفياً فى صدورنا ، وصدق ربُّ العزة حيث قال : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[غافر :١٩] وأشهد أن سيدنا محمداً عبد اللَّه ورسوله ، كان يحمل قلباً طاهراً ، ونفساً زكية : ويعيش فى رحاب اللَّه صلوات اللَّه وسلامه عليك يا رسول اللَّه ، وعلى آلك وأصحابك ، الذين وصلوا قلوبهم بربهم ، وأدوا واجبهم نحو خالقهم ، فرضى اللَّه عنهم وأرضاهم أجمعين .

أيها الإخوة المسلمون : اللَّه تبارك وتعالى كما جعل الناس مختلفين فى ألوانهم وعاداتهم ولغاتهم ، وطولهم وقصرهم وأعمالهم ، فهو كذلك جعل النفوس مختلفة ، فهى ليست واحدة فى ميولها واتجاهاتها ، وإنما هناك تفاوت فيما بينها ، ولهذا فالنفوس أنواع ، ولكل نوع اتجاه معين ، وسلوك مختلف ، ومن بين النفوس النفس الأمارة بالسوء ، وهذا النوع من النفوس ، يميل إلى الطبيعة المادية البدنية ، ويجنح إلى الوقوع فى الشهوات ، ويحب الحياة مع الملذات ، ويعيش مع ما يمليه الشيطان ، وينفذ له رغباته ، ويستجيب لنزغاته ، ويكون طوع إرادته ، ورهن إشارته ، ولهذا يبتعد هذا النوع عن طريق الفضيلة ، فلا صدق ولا أمانة ، ولا حياء ولا تواضع ، وإنما خلق مرذول ، كالكبر والبخل ، والحقد والحسد ، وغير ذلك من ألوان الرذائل ، فهذا النوع لديه الاستعداد لممارسة الشر، والقيام بالأدوار الشيطانية ، وهذا هو السائد من ذلك النوع ، وتلك هى

زليخا امرأة العزيز قامت بدور شيطانى على مسرح الحياة من منطلق الاستعداد لنزعة الشر ، والتأثر بما يمليه الشيطان ، والقيام بالتنفيذ لما خططه . . إن هذه المرأة حاولت بما تحمله نفسها من خبث ومكر وشر أن توقع يوسف عليه السلام فى شرك شرها ، وترغمه على الزنا بها ، وقامت بأساليب مختلفة من الإغراء ، لكنه عليه السلام مِمَّنْ عصمهم اللَّه لأنه أحد أنبيائه ، ولذا لم يستجب لم أردت ، ولم يذعن لما أصرت عليه ، مع أنها فى مركز القوة وهو فى ذلك الوقت خادم فى قصرها ، وظل عليه السلام بعيدا عن الزلل ، نائيا عن إرتكاب الخطيئة معها ، وحدث ما حدث من إمساكها بقميصه وتمزّق جزءا منه بسبب جريه أمامها للإفلات من مكرها وشرها ، ولما وصلا إلى باب القصر وجدا زوجها وقريبا لها ، وعندئذ اهتمت يوسف بممارسة الخطيئة معها ، ودافع يوسف عليه السلام عن نفسه ، وتحدث عن مراودتها له لكى يرتكب الفاحشة ، وهنا شهد شاهد من أهلها وقال كما قال القرآن الكريم ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾[يوسف: ٢٦ ـ ٢٨] وهكذا كانت الشهادة لصالح يوسف عليه السلام، وصممت زليخا على الانتقام من يوسف، وحاكت له مؤامرة إدخاله السجن، وظل فى السجن مدة من الزمن بسبب مؤامرة زليخا الشيطانية، ثم خرج من السجن بعد أن تبين للمسئولين براءة يوسف،وكان ما كان من توليه وزارة فى مصر من أهم الوزارات وأثبت كفاءته وجدارته،وجنب مصر شر المجاعة التى حدثت فى كثير من الأقطار،بحسن إدارته ونجاحه فى عمله،ولقد أقرّت زليخا بأنها ظلمت يوسف،وأنها التى حاكت له مؤامرة إدخاله السجن، وقالت كما جاء فى القرآن الكريم: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف :٥٣] .

وهكذا نجد النفس الأمارة بالسوء تعيش فى جو غير إيمانى ، وتعشق الرذيلة

وتحب الوقوع فيها ، وتمارس كافة الطرق ومختلف الأساليب لتشبع رغبتها الشهوانية ونهمها الجنسى ، دون تفكير فى البعد عن بشاعة ما تميل إليه ، وقد كانت زليخا من هذا النوع ، فنفسها أمارة بالسوء ، وقد حاولت وحاولت أن توقع يوسف عليه السلام فى شراكها الإجرامية ، ولكنها لم تفلح ولم تظفر بتحقيق أمنيتها ، لأنه محصن ومعصوم . واللّٰه معه بحفظه ورعايته . وقد جاء القرآن الكريم بهذه القصة مفصلة ، وتحدث عن هذه المؤامرة وبيّن ما كانت ترمى إليه ، وذكر النجاح العظيم الذى حالف يوسف عليه السلام وهو فى موقع وظيفته الوزارية بمصر ، وكيف استطاع إبعاد خطر المجاعة عنها ، بينما كانت أقطار أخرى تعيش فى جو المحنة ، وتم انقاذها على يد يوسف عليه السلام .

وهناك نوع من النفوس وهو النفس اللوّامة ، وهذه النفس فيها جوانب خيرة، ومن هذا المنطلق تؤدى واجبها فى ميدان الطاعة للّٰه ، وتعيش فى رحاب العبادة وتخشى اللّٰه ، ولكنها فى بعض الأوقات تزل وتقع فى المعصية ، وفى غفلة منها ترتكب الخطيئة، وعندما يحدث منها ما يشوه مسيرتها ويلوثها ، تعيش فى جو الندم على ما حدث منها ، وتثوب إلى رشدها ، وتوجه اللوم إليها ، وتتوب إلى ربها وتثوب إليه ، وترجوه أن يغفر لها زلتها ، ويكفر خطيئتها ويعفو عنها ، ويبعد عنها وساوس الشيطان ، ويجعلها مقبولة لديه ، وألا يطردها من ساحة رحمته ، وهكذا يكون هذا النوع من النفوس ، فى ندم ولوم ورجوع سريع إلى اللّٰه ، بالتوبة الصادقة ، والأوبة الجادة ، وهذا النوع جوانب الخير فيه أصيلة، وجوانب الشر عارضة ، وقد أقسم ربنا فى القرآن الكريم بالنفس اللوّامة، لأن جوانب الخير كثيرة فيها ، ونزعة الشر قليلة ، واليقظة الإيمانية فيها حية ، وصدق ربُّ العزَّة حيث قال ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة : ٢] والقسم بالنفس اللوامة مسبوق بالقسم بيوم القيامة، وكلمة (لا) النافية قبل القسم لها فائدة ، لأنها

تؤكد القسم وتقويه ، وكأن اللَّه يقول : الأمر بين واضح لا يحتاج أن أقسم عليه، والنفس اللوامة تلوم نفسها على أنها لم تبلغ درجة عالية فى العبادة ، كما تلوم نفسها عندما تقع فى المعصية ، واللَّه إذ يقسم بها فهو بذلك يثنى عليها ، وينوه بشأنها ، ويرغب فى طريقتها .

ومن أنواع النفوس: النفس المطمئنة : وهى تلك التى تخلت عن الصفات الذميمة القبيحة ونفرت من الوقوع فى المعصية ، وليس لديها إستعداد لفعل مايغضب اللَّه ، ولا رغبة فى اقتراف شىء نهى عنه الدين ، ولهذا فهى بعيدة كل البعد عن الوقوع فى الخطايا ، وفى الوقت ذاته تتحلى بالخلال الحميدة ، والخصال النبيلة ، من صدق وأمانة وعفة وطهارة وخوف من اللَّه ، وهذه النفس مستنيرة بنور القلب ، وهى اطمأنت إلى الكمالات وتعلقت بها وعاشت فى رحابها، ولهذا فهى متعلقة بحب اللَّه تعالى ، منجذبة إلى أداء عبادة ربها على الوجه الأكمل الذى يرضى عنه ، فهى نفس أمامها حسن المستقبل ، وعظيم الأجر من اللَّه ، وهى مبشرة من اللَّه بالجنة فى قوله تعالى ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾ [الفجر : ٢٧ ـ ٣٠] وصدق رسول اللَّه صلوات اللَّه عليه حيث قال: « **أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك** » [البيهقى] .

١١ ـ [الصلاة تطهير وتربية]

الحمد للَّه أمرنا بالعبادات تربية وتطهيرا لنفوسا ، والثمرة المترتبة على العبادات عائدة علينا وعلى مجتمعاتنا ، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، جعل الصلاة عماد الدين ، فمن أقامها فقد أقام الدين ،ومن تركها فقد هدم الدين ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد اللَّه ورسوله ، أرسله ربه رحمة للعالمين ، صلوات اللَّه وسلامه عليك يا رسول اللَّه ، وعلى آلك وأصحابك ، الذين كانوا يحرصون على أداء الصلاة ، ويؤدون واجبهم نحو اللَّه ، فرضى اللَّه عنهم وأرضاهم أجمعين .

إخوة الإيمان والإسلام : أمرنا ربنا وخالقنا وصاحب الفضل علينا بعدة عبادات ، ومن بين تلك العبادات فريضة الصلاة ، وهذه فريضة تهدف إلى الخير لنا دنيا وأخرى ، فهى فى دنيانا تنهانا عن الفحشاء والمنكر ، وتهذب أرواحنا ، وتنقىّ نفوسنا ، وتطهر قلوبنا ، وصدق ربُّ العزَّة حيث قال : ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

والصلاة نور وبرهان ، وهى صلةبين العبد وربه ورابطة قوية بين الخالق والمخلوق ، ومنها يتعلم الإنسان النظام، لأن فيها وقوفا ثم ركوعا ثم رفعا منه ثم سجودا ثم جلوسا ثم سجودا ،وهكذا تكون الصلاة بهذه الصورة فى كل ركعة ، وتؤدى بهذا الترتيب وبذلك النظام اقتداء برسول اللَّه عليه الصلاة والسلام ، الذى علم أصحابه وأمته الصلاة بهذه الكيفية وذلك النظام ، وهو القائل صلوات اللَّه وسلامه عليه: « **صلوا كما رأيتمونى أصلى** » .

إنه لنظام بديع ، وإن الصلاة وقفة مؤدبة أمام خالق الكون ومن وما فيه وهى

تربية روحية ورياضية وسياحة فى طاعة اللَّه، وثمرة هذه الصلاة فى الآخرة ثمرة يانعة ، إذ إن اللَّه تعالى أعدّ الجنة ونعيمها للمصلين الذين يحافظون عليها ويؤدونها بإخلاص وصدق وطمأنينة ، وصدق ربُّ العزَّة حيث قال : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون :١-٢] وبعد أن ذكر اللَّه عدة أوصاف للمؤمنين ، ذكر الصلاة التى يحافظ عليها المؤمنون ، ثم ذكر النتيجة والثمرة ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون :٩-١١] ألا إنها أعظم نتيجة وأبدع ثمرة ، ولكى يصل المصلى إلى تلك النتيجة ، ويحقق لنفسه هذا المستقبل الباسم ، فلتكن صلاته ذات روح ، وليكن فى صلاته موصول القلب باللَّه ، ولا يكن من الغافلين فى أداء الصلاة ، أما إذا لم تكن صلاته بهذه الصورة ، فإنها لا تؤدى إلى نتيجة ، وهى لن تفيده فى شىء ، ولن تنفعه فى أخراه ، والرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه نبهنا إلى أن الصلاة التى لا تنهى المصلى عن الفحشاء والمنكر ، والتى لا تعدل السلوك ، هى صلاة مردودة عليه ، وهذا هو قوله عليه الصلاة والسلام : « **من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من اللَّه إلا بعدا** » .

والصلاة الكاملة الخاشعة ، المبنية على الإخلاص للَّه ، والأداء الحسن المتقن، تريح النفوس ، وتملأ القلوب سكينة واطمئنانا ، وهذا هو رسول اللَّه ﷺ يؤكد هذا المعنى حيث كان يقول لبلال : « **أرحنا بالصلاة يا بلال** » [أحمد وأبو داود] نعم فالصلاة تريح المؤمن ، لأنه حين صلاته بعيد عن مشاكل الحياة .

أيها المسلمون : إن الصلاة أمانة ، واللَّه تبارك وتعالى أمرنا بأداء الأمانة ، والرسول عليه الصلاة والسلام بشر المصلين الذين يستحضرون قلوبهم حين أدائها، ويحافظون كل المحافظة عليها ، ويخافون ربهم ويخشونه ، أما الذين لم يكونوا

على صلة باللَّه حين الصلاة ويؤدونها بلا إتقان ، ولا يستحضرون عظمة اللَّه فيها، فإن أمامهم يوم القيامة مالا يسرهم ، مصداق ذلك قول رسول اللَّه ﷺ : **«من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها ، وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها ، عرجت وهى بيضاء مسفرة وتقول : حفظك اللَّه كما حفظتنى ، ومن صلى صلاة لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ، ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها ، عرجت وهى سوداء مظلمة ، وتقول ضيعك اللَّه كما ضيعتنى ، حتى إذا كانت حيث شاء اللَّه لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب به وجهه »** .

وإذاً فالصلاة يجب أن تؤدى بالصورة التى ترضى الله تبارك وتعالى ، وهذا هو حاتم الأصم ـ رضى اللَّه عنه ـ يبين لنا كيفية الصلاة الكاملة ، ويعطينا الصورة الطيبة التى يجب أن تؤدى بها ، قيل لهذا الرجل: كيف تؤدى صلاتك ؟ فقال : «إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء ، وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه ، فأقعد حتى تجتمع جوارحى ، ثم أقوم إلى صلاتى ، وأجعل الكعبة بين حاجبى ، والصراط تحت قدمى ، والجنة عن يمينى ، والنار عن شمالى ، وملك الموت ورائى ، وأظنها آخر صلاتى ، ثم أقوم بين الرجاء والخوف ، وأكبر تكبيراً بتحقيق، وأقرأ قراءة بترتيل ، وأركع ركوعاً بتواضع ، وأسجد سجوداً بتخشع ، وأقعد على الورك الأيسر ، وأفرش ظهر قدمى ، وأنصب القدم اليمنى على الإبهام ، وأتبعها الإخلاص ، ثم لا أدرى أقبلت منى أم لا ؟»·

هذا هو كلام حاتم الأصم ، وهو ينبهنا إلى أن نكون حين أداء الصلاة بهذه الصورة المشرقة لكى يتقبلها اللَّه منا ونجد ثمرتها نوراً وجنة ونعيماً ورضاً من اللَّه تبارك وتعالى ، وهذا على بن أبى طالب ـ كرّم اللَّه وجهه، ورضى عنه ـ كان إذا حضر وقت الصلاة يتلون وجهه ، فقيل له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول: جاء وقت أمانة عرضها اللَّه على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن

منها وحملتها .

إنها اليقظة الإيمانية تتفاعل فى القلب ، وإنها الأمانة التى يحس أمير المؤمنين بثقلها وتبعاتها . وهذا هو الرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه يلفت أنظارنا وعقولنا إلى ما يترتب على أداء الصلاة الكاملة المتقنة من نتائج طيبة ، حيث قال عليه السلام فى معرض الحديث عنها : « **من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع فرعون، وهامان، وقارون، وأبى بن خلف** » [أحمد] .

وقد خص هؤلاء الأربعة بالذكر لأنهم زعماء الكفر وهم أعداء اللَّه ، فمن ترك الصلاة لِمُـلْكِهِ فهو مع فرعون ، ومَنْ تركها لوظيفته المرموقة فهو مع هامان ، ومن تركها لِمَالِهِ فهو مع قارون ، ومن تركها لتجارته فهو مع أبى بن خلف .

إن الصلاة هى الركن الثانى من أركان الإسلام بعد الشهادتين ، وهى ذات أهمية كبرى فى الإسلام ، فلنحافظ عليها ولنؤدها بإتقان ، وصدق الرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه حيث قال : « **من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من اللَّه إلا بعداً** » .

١٢ـ [فى ظلال الهدى المحمدى]

الحمد للَّه لم يترك الناس حيارى فى حياتهم ،وإنما أرسل إليهم الرسل لينقذوهم من حيرتهم ، ويرشدوهم إلى الصراط المستقيم ، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، اختار رسله من خيرة خلقه ، واصطفاهم للقيام بتوجيه الناس إلى طريق الخير ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد اللَّه ورسوله ، إمام المتقين، وشيخ المرسلين ، وحبيب رب العالمين ، والمرسل إلى الناس أجمعين ، صلوات اللَّه وسلامه عليك يا رسول اللَّه ، وعلى آلك وأصحابك ، الذين صدقوا ما عاهدوا اللَّه عليه ، من الدفاع عن العقيدة الإيمانية ، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

أيها الإخوة المستمعون : القرآن الكريم هو المصدر الأول الذى منه تؤخذ الأحكام التى تنظم حياة المسلمين، وتوجههم إلى ما فيه صلاح حالهم فى دنياهم، وهو كلام اللَّه تعالى وتنزيل ربِّ العالمين والثروة الكبرى لأمة خير المرسلين ، وهناك مصدر ثان بجوار المصدر الأول ، وفيه أيضاً ما يفيد الأمة المحمدية فى معاشها ومعادها ، وما يأخذ بيدها إلى طريق المعرفة والخير ، ويتمثل هذا المصدر فى السنة النبوية ، والتى هى بوحى من اللَّه القائل عن رسوله : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم :٣ـ، ٤] ومنْ معين تلك السنة المحمدية قول رسول اللَّه ﷺ : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، ثم شبك بين أصابعه** » [متفق عليه] .

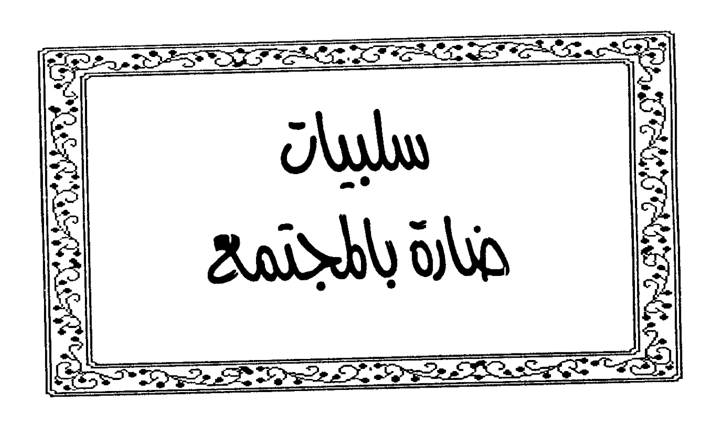
إنه لقول رائع صادر عن رسول الإسلام ، وهو يجسّد التعاون على البر والتقوى فى أنضر صورة وأسمى هيئة ، والقوة الإيمانية التى لها أثرها الكبير فى

حياة المؤمنين ، وتأثيرها العظيم فى المجتمع الإسلامى الكبير ، والرسول عليه الصلاة والسلام بهذا القول النبوى ، يضع أمام أبناء الإسلام الإطار القوى ، الذى يضم فى دائرته القوة الإيمانية الفعالة ، التى بها يكون مجتمع الإسلام متين البنيان، قوى الأركان ، عظيم الشأن ، عالى المقام ، عزيزاً كريماً لا يذل ولا يهان، وفى هذا الحديث الشريف يحدد لنا الرسول عليه السلام معالم العزَّة ، ويرشدنا إلى الطريق إليها لنعيش فى أحسن حال وأهنأ بال ، وذلك بأن شبّه المؤّمن الإيجابى البناء ، الذى يتعاون مع أخيه المؤمن تعاوناً حقيقياً ، ويتضامن معه تضامنا صادقاً، فى رخائه وشدته ، وفى سرائه وضرائه ؛ يشبه الرسول المؤمن الذى يكون بهذه الصورة المشرقة الوضاءة ، بالبنيان القوى المتلاحم ، ، الذى لا تؤثر فيه عوامل الطبيعة ، ولا يضعف أمام الأعاصير ، ولا يتزلزل حين تحدث الزلازل ، ولا ينهار إذا أصابته القذائف ، وإنما هو صامد ثابت ، قوى شامخ ، راسخ القواعد ، متين الحوائط ، وإذا تأثر بعض الشىء فإنه يظل محتفظاً بقوته وصلابته ، ولديه القدرة على المقاومة، والاستطاعة على الصمود . . إنه لتشبيه جميل ، وهو يحرك المشاعر لدى المسلمين ليكونوا مثل هذا البيت القوى ، ويثير فيهم روح التضامن ليكونوا فى الذروة تعاوناً وتلاحماً وتماسكاً وقوة وقهرًا للأعداء، وصلابة أمام عوادى الزمان وأحداثه ، ونحن إذا نظرنا إلى لبنات البناء الذى كوّن منها ، فإننا نجدها ضعيفة غير قوية ، ومن السهل جداً كسرها وتحطيمها، فهى وحدها ضعيفة غير قوية ، وهى قبل أن توضع فى البناء لا حول لها ولا قوة ، ولكنها بعد وضعها فى البناء بجوار زميلاتها ، وبعد الربط بينها بالمادة الأسمنتية تكون كالشىء الواحد ، وبهذا تكون قوية متماسكة ، لأن المادة اللاصقة جمعت بين اللبنات ، وربطت بينها برباط قوى ، حتى صارت شيئاً واحداً فيه قوة وصلابة ، وتماسك وتلاصق . والأمة الإسلامية شأنها شأن ما تقدم ، فالفرد فيها

وحده ضعيف ، ولا يستطيع بمفرده أن يواجه مشكلات الحياة ، أو يقف فى طريق عدو له قوته وصلابته ، ولا يقدر على أن يقيم مشروعا أو يشيد منزلاً ، إذ إن الفرد وحده ضعيف ، وهو كاللبنة قبل البناء فى ضعفها وسرعة تهشيمها ، أما إذا كان هناك تعاون بين الأفراد ، وتلاحم أبناء المجتمع ، وتآزر على الخير ، فإنه ـ والحال هذه ـ تكون القوة الضاربة ، ويكون المجتمع القوى المتين ، والنهضة الكبرى فى جميع المجالات الحياة ، وعندئذ لا يطمع طامع فى المجتمع الذى يكون أفراده بهذه الصورة الجميلة .

أيها الإخوة : إن الرسول صلوات اللّه وسلامه عليه يبرز فى الحديث الذى سمعتموه قوة المسلمين حين تآزرهم ، وشوكتهم عند تعاونهم على البر والتقوى ، وهى قوة لا تقهر لأن يد التعاون هى التى صنعتها ، ولأن التلاحم هو الذى نسج خيوطها على منوال التآزر ، والدين الإسلامى أيها الإخوة لديه الثروة الكبرى من المبادئ الإنسانية السامية ، والقيم الأخلاقية العالية ، والمثل الفاضلة الرائعة ، والأهداف الجميلة الممتازة ، ونحن المسلمين ـ فى عصرنا الحاضر بحاجة ماسة وأمام ضرورة ملحة إلى تعاون وثيق على ضوء حديث رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، إذ فى هذا التعاون توثيق الروابط فيما بيننا ، وهو المدخل إلى صنع القوة التى لا تقهر ، والمستقبل المشرق البسّام ، والحياة الهانئة السعيدة ، والتى يكون المسلمون فى ظلها أعزة ، ولهم البأس الشديد فى إطار الحق والخير . والمسلمون حين كانوا متعاونين بصدق فيما بينهم على البر والتقوى ، كان لهم شأن عظيم ، وحضارة متألقة ، وقوة كبرى ، بها كان الانتصار على أعتى الدول وأقواها ، ولقد امتدت هذه القوة الإسلامية إلى كثير من البلدان والشعوب ، وكان للمسلمين التقدير والهيبة ، لأنهم كانوا يعيشون فى ظل الدين ورحاب التعاون ، ولأن الحب الخالص الذى سكبه اللّه فى قلوبهم كان جسرَ التواصل فيما بينهم . ولقد مثل

الرسول عليه الصلاة والسلام اتحاد المسلمين وحبهم وتعاونهم على الخير بالتشبيك بين أصابعه الشريفة ، وفى هذا التشبيك ما يدل على القوة الخارقة ، إذ إن الأصابع إذا ضمت إلى بعضها صارت قوية ، وكذلك اليد إذا انضمت إلى غيرها من الأيدى كانت متينة ، والمؤمنون إذا تآلفت أرواحهم وتعانقت على البر والتقوى نفوسهم ، واتحدت مشاعرهم ، وكان التعاون وثيقا بينهم ، وجعلوا كل مواردهم ضد أعدائهم ، وقاموا بواجبهم نحو النهوض بمجتمعهم ، إنهم عندئذ يكونون كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، ويكونون قوة فولاذية لا يستطاع قهرها ، فعلى المسلمين أن يجسّدوا حديث رسولهم ، ويتعاونوا كل التعاون فيما بينهم ، ليعيشوا أعزَّةً سعداء ، ويحيوا حياة فاضلة كريمة ، وصدق الرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه حيث قال : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، ثم شبك بين أصابعه**» [متفق عليه] .


سلبيات
ضارة بالمجتمع



١٣ـ [الزواج السرِّى تحطيم للمجتمع]

الحمد للَّه أرسل محمدا عليه الصلاة والسلام إلى الإنسانية بدين الإسلام وأيد دعوته بمعجزة القرآن ، الذى هو دستور الأمة المحمدية ، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، بين لنا الحلال لنطبقه علينا ، وبين أيضاً الحرام لنتجنبه ولا نقع فيه ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد اللَّه ورسوله ، جاءنا بدين الفضائل ، ووجهنا إلى التحلى بمكارم الأخلاق ، والابتعاد عما يشوه الشخصية الإيمانية ، صلوات اللَّه وسلامه عليك يا رسول اللَّه ، وعلى آلك وأصحابك ، الذين أشرقت عقيدة الإيمان فى قلوبهم ، وتحلوا بأجمل الشيم ، فكانوا نماذج إيمانية فى القمة ، فرضى اللَّه عنهم وأرضاهم أجمعين .

أيها الإخوة المسلمون : إن مما يدمى القلوب أسى وحسرة ، ويذيب النفوس ألماً وحزناً ، أن نرى مجتمعنا الإسلامى مبتلى بظواهر سلبية ، وأعمال شيطانية ، وشيوع تلك الظواهر فى مجتمع الإسلام ، إنما هو مؤشر على أنه يسير فى نفق مظلم ، وطريق وعر المسالك ، ومما هو شائع فى هذه الفترة من العصر الذى نعايشه ، هذا الاتصال الجنسى الشيطانى تحت مسمى الزواج العرفى ، وقد ذاع هذا الوباء فى الوسط الجامعى بين الطلبة والطالبات ، وامتد خطره إلى الثانوى والإعدادى ، وبلغت نسبة هذه الظاهرة حسبما جاء فى الصحف درجة مخيفة مزعجة ، وهذا أمر خطير ينذر بالشر المستطير والبلاء الكبير . . إنه فى ظل المراهقة الطائشة المجنونة ، استحدث هذا الزواج العرفى ، وما هو بزواج ولا هو عرفى ، إذ إن الزواج هو ما كان مستكملاً أركانه ومواصفاته ، وإذاً فمثل هذا اللقاء الشيطانى ليس زواجاً وليس عرفياً لأن العرف يرفضه ، ويمجه ولا يعترف به، ويتبرأ منه ويحرمه ، فالتسمية عارية عن الصحة ، وليس لها مكان فى دنيا العقلاء ، وإذا فمن الأنسب أن تسمى تلك الظاهرة بالزنا الشيطانى ، أو الزنا السرى ، والدين لا يعترف بهذا المسلك الإجرامى ولا أى إنسان عاقل واع فطن يرتضيه ،

والدين قد جاء بتنظيم حياة الإنسانية ، وبين ما هو حلال وما هو حرام ، وتلك الظاهرة إنما هى سنة سيئة ، والوزر لا حق بمن ابتدعوها ، وعليهم وزر من يعمل بها ،والرسول عليه الصلاة والسلام قال فى هذا الشأن :« **ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة** » [مسلم].

ثم إن هذه الورقة العرفية التى تكتب إنما هى تمويه ولا قيمة لها ، لأنها لا تكتسب الشرعية ولا تترتب عليها حقوق زوجية ، وهى مسبوقة بخلوة بين الفتى والفتاة ،وما اختلى اثنان إلا كان الشيطان ثالثهما ،وقد نهى اللّٰه عن الخلوة لما يشوبها من أعمال منافية للدين،حيث يقول عليه السلام:« **لا يخلون رجل بامرأة لا تحل له فإن ثالثهما الشيطان إلا محرم** » [أحمد] . وفى ظل تلك الخلوة ترتكب جريمة الزنا ، ويتمزق ثوب العفاف ، ويرتفع برقع الحياء ، إنها خلوة شيطانية ومعصية ترتكب فى دائرتها، وقد يحدث حمل بسببها وتجهض الفتاة للتخلص من الجنين الذى فى أحشائها وتلك جريمة أخرى بالإضافة إلى جريمة الزنا ، وفى ظل الورقة العرفية فالزنا أيضا قائم ، والجريمة تتكرر ، والدين يهان ، والرسول صلوات اللّٰه وسلامه عليه قرر بأن الزواج يحتاج إلى ولى ليباشر العقد ، وأن يكون هناك شاهدان عدلان ، حيث قال عليه السلام: « لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل » [البخارى] وحيث قال « **أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل باطل باطل** » [الترمذى] فالولى ضرورى ليباشر عقد الزواج ، وهو غائب عن مباشرته فى مثل هذه الظاهرة التى إبتدعت ،والشاهدان لا تتوفر فيهما العدالة وهما اللذان شهدا على الورقة العرفية ،والعدالة هى: أن يكون الشاهد غير مرتكب لكبيرة من الكبائر وغير مُصِرٍّ على ارتكاب شىء من الصغائر، ثم إن هناك أمورا غائبة وهى ضرورية،ومنها المهر ،والكفاءة الزوجية، والمسكن المناسب،والإشهار، والتوثيق ، وإذا فالمواصفات المطلوبة فى الزواج ليست

موجودة فى هذه الظاهرة المسماة بالزواج العرفى ، وإن هذه الظاهرة قائمة على إشباع الرغبة الجنسية وكفى ،وهى نتيجة لمخطط شيطانى يهدف إلى هدم العقيدة الدينية ، والحياة فى ظل الإباحية ، والنزول بالإنسانية من عليائها إلى مستوى الحيوانية ، وقد وظف الشيطان من يقومون بهذا الدور ممن لديهم خواء روحى ، ومن ارتموا فى أحضان المادة وما يتصل بها من غرائز غير مهذبة ،ونزوات طائشة.

ولما كان بعض الشباب فى العصر الحاضر متأثرين برؤية الأفلام الجنسية التى تعرض عليهم ، وكان لها دور كبير فى إثارتهم ، ومحركة لما هو كامن فيهم من شهوة جامحة ، ولما كان تفكيرهم قد انحصر فى هذه الدائرة الغريزية ، فإن الشيطان وجد الفرصة سانحة أمامه لكى يستخدم هؤلاء الشباب الذين لديهم الاستعداد لمخالفته وتنفيذ مخططه ، وكان له ما أراد وما تمنى ، وبأسلحته المتعددة استطاع تجنيدهم فى أقذر ميدان وأقبح مجال ، ميدان الزنا بطريقة مغلفة بالشريعة وما هى بشريعة ولا تمت إليها بصلة والدين برىء منها . .

أيها الإخوة : إن الزواج الشرعى قائم على العلن ، ومبنى على الإشهار ، بدليل قول رسول اللّه ﷺ :« **أعلنوا هذا النكاح ، واجعلوه فى المساجد ، واضربوا عليه بالدفوف** » [أحمد والترمذى] .

تلك هى التوجيهات النبوية الواضحة، فلماذا يكون الارتماء فى أحضان الشيطان ؟ ولماذا تضرب فئة من الجنسين بالشرع عرض الحائط ؟ ولماذا يكون التنكر للقيم والأخلاق الإيمانية ؟ إن هذا الشىء عجاب . وإنى لأعجب كل العجب للفتاة التى تستسلم للذئب البشرى وتسلم له نفسها طواعية ، وأين العقل وأين الحياء ؟ وأين الدين؟ وأين الشرف والعفاف ؟ وأين ثمرة التعليم فى أكثر من مرحلة ؟ إن كل هذا ضاع واختفى ، فى سبيل لذة وقتية محرمة ، وشهوة دنيئة غير سوية ، ألا إنها الكارثة الضارة بالوطن وإنه الوباء المستشرى فى المجتمع الإسلامى ، ويجب التصدى لهذه الظاهرة الممقوتة ، المرفوضة من الدين والعرف

. إن الزواج الشرعى يدخل السرور على النفوس ،لأنه قائم على ضوابط قننها الدين ،ومواصفات تحقق الحياة النظيفة الفاضلة ،والقرآن الكريم أبرز فى آية منه ما يترتب على الزواج الشرعى من ثمار طيبة ونتائج سارة ، وذلك فى قول اللَّه تعالى : ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم:٢١] وما أحسن تلك الأهداف التى من أجلها شرع الزواج ،وما أعظم التشريع الإلهى. إن فيه الخير كل الخير،وصدق رسول اللَّه ﷺ حيث قال : « **لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل** » [البخارى] .

١٤ـ [الاغتصاب جريمة وحشية]

الحمد للَّه أرسل محمداً عليه الصلاة والسلام إلى الإنسانية رحمة بها ، فى تصحيح العقيدة ، وفى التحلى بالأخلاق العالية ، وفى حسن المسيرة فى الحياة ، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، يحب أهل التقى والنقاء ، والمسيرة العطرة فى الحياة ، ويبغض المنحرفين الذين لا دين لديهم ولا ضمير ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد اللَّه ورسوله ، الرسول العالمى الخاتم ، الذى شرح اللَّه صدره، ورفع ذكره ، وأعلى قدره ، صلوات اللَّه وسلامه عليك يا رسول اللَّه ، وعلى آلك وأصحابك ، الذين رسخت عقيدة الإيمان فى قلوبهم ، وعرفوا اللَّه فعرفهم فرضى اللَّه عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة الأحباب : دين الإسلام الذى نشرف بالانتساب إليه ، جاءنا بثروة كبرى من الأخلاق الفاضلة ، وأمرنا بالتزين بها ، والحرص على الحياة فى ظلها ، ومنها الصدق والأمانة ، والتواضع والرحمة، والحياء وحب الخير للغير ، والإيثار والتعاون ، وما سوى ذلك من سجايا حميدة ، وفى المقابل نهانا ديننا عن الرذائل ، وحذرنا من الوقوع فى المعاصى ، ومن الرذائل التى نهينا عنها الكذب والخيانة ، والكبر والقسوة ، والأنانية والإرهاب والاغتصاب ، وما إلى ذلك من أخلاق سيئة ، ومساوئ قبيحة. .

هذا هو دين الإسلام ، أمرنا بما فيه الخير لنا ، ونهانا عما فيه ضرر علينا أو على غيرنا ، والإنسان الذى يعيش فى ظل توجيهات هذا الدين العظيم ، وينفذ ما جاء به من فضائل وتوجيهات ، ويبتعد عما نهى عنه من مرذول العادات ، فإنه ـ والحال هذه ـ يحظى برضا اللَّه ـ تبارك وتعالى ـ وحبه ، ويكون مستقبله فى الآخرة جنات ونعيماً ، وعزاً وتكريماً : ﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ

مُقْتَدِرٍ﴾[القمر :٥٤ـ ٥٥] .

ولكن للأسف الشديد الذى يملأ القلوب أحزاناً ، نجد فى زمننا الحاضر أموراً غريبة كل الغرابة ، ونسمع عن حودات رهيبة مزعجة تذيب النفوس من الآلام ، وتطالعنا الصحف بأخبار مؤلمة مؤسفة ،ومما نسمع ونقرأ فى الصحف ، ظاهرة الاغتصاب والعياذ باللّه ، تلك الظاهرة الإجرامية الشريرة ، التى يقوم بها أناس تجردوا من الفضائل ، وتلك هى الإنسانية تئن من سلوكهم الشيطانى ، وأفعالهم الإجرامية ، وأعمالهم القبيحة المزرية ، التى يندى من هولها جبين الإنسانية .

إن هذه الفئة الضالة تغتصب النساء بوحشية وقسوة وإرهاب ، ودون حياء وبلا رحمة ، ومن المغتصبات من هى متزوجة ومن هى غير متزوجة ، وقد فشت هذه الظاهرة بصورة مزعجة ، وصارت تشكل خطراً جسيماً على المجتمع وستكون لها آثار ضارة كل الضرر . .

يقوم هؤلاء الأشرار باغتصاب النساء بشتى الصور ، وتحت تهديد السلاح ، ويذهبون بالضحية إلى أماكن مهجورة بعيدة عن الأعين ، أو إلى بيوت ملوثة خصصوها لارتكاب الفاحشة ، وفى هذه الأماكن الملوثة يمزقون ثوب الحياء ، ويهتكون الأعراض ، ويتناوبون الاعتداء الجنسى الإجرامى الآثم على الضحية بصورة وحشية مقززة ، حتى تصاب بالإعياء الشديد ، وتصل إلى درجة قريبة من الموت ، وهناك ما هو أدهى وأمر ، فهناك ضحية مغتصبة زنت بها مجموعة من الوحوش البشرية بالتناوب إلى أن ظنوا أنها ماتت ، ولكنها بعد هذا الظن تحركت، وعندئذ حملوها وذهبوا بها إلى مصرف مائى ووضعوا رأسها داخل مياه هذا المصرف إلى أن لفظت أنفاسها الأخيرة ، ثم ذهبوا بها بعد موتها إلى أرض زراعية قريبة من المصرف ، وتناوبوا الاعتداء الجنسى عليها وهى ميتة ، وبالإضافة إلى ذلك أخذوا ما معها من حلية ذهبية ، ثم تركوها فى هذا المكان عارية الجسم ، وانصرف هؤلاء المعتدون الآثمون إلى بيوتهم وهم آمنون مطمئنون ، وهذه الواقعة

ليست من نسج الخيال ، وإنما هى حقيقة وواقع ، وقد تحدثت عنها الصحف اليومية ، وما خفى كان أعظم ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلى العظيم . إن هذه الجريمة فى منتهى الغرابة ، حيث إن هؤلاء الوحوش لم يكتفوا بارتكاب جرمهم مع الضحية وهى حية ، وإنما امتد هذا الجرم إليها وهى ميتة ، فهل أولئك لديهم ذرة من إيمان أو حياء ؟ وهل لديهم إنسانية أو ضمير حى ؟ إنهم تجردوا من كل ذلك ، وتحولوا إلى وحوش كاسرة ، وهم ظنوا أنهم بمأمن ولن ينكشف أمرهم ولن يعاقبوا ، ولكن اللَّه تعالى فضح سرهم ، وكشف أمرهم، ولابد من عقابهم العقاب الصارم فى دنياهم وأخراهم . . إن اللَّه تبارك وتعالى بقدرته وعدله ، هيأ الفرصة أمام رجال المباحث ، وبعد تحريات مكثفة توصلوا إلى معرفة الجناة ، الذين ارتكبوا عدة جرائم مع ضحيتهم اغتصاب **أولاً ، وثانياً** :اعتداء جنسى وهى حية ، **وثالثاً**: قتلها ، **ورابعاً**: سرقة حليها ، **وخامساً**:اعتداء جنسى وهى ميتة ، وهذه الجرائم تدل دلالة واضحة على جسامة ما ارتكبوا من أعمال شريرة ، وممارسات إجرامية شيطانية .

أيها المسلمون : الاغتصاب كلمة تشمئز منها النفوس ، وهذا الجرم الكبير ينذر بشر مستطير لا يعلم مداه إلا اللَّه ، وهؤلاء الذئاب تجب معاقبتهم فى مكان عام أمام الناس ليروا بأعينهم عقابهم ، ويجب أن يعرض التلفاز منظر إعدامهم على المشاهدين ، ليكون ذلك رادعاً لمن تسول له نفسه ارتكاب مثل هذا الجرم الكبير ، وهذا هو القرآن الكريم يتحدث عن عقاب مثل هؤلاء المجرمين ، الذين ينشرون الفساد ، ويقومون بأعمال خسيسة على مسرح الحياة ، وما أكثر ما فيها من عنف وبشاعة وإرهاب وإجرام ، وبئست تلك الأدوار التى يعرضونها فى أبشع صورة ، وماذا فى القرآن الكريم فى أمثال هؤلاء الشياطين ؟ إن ربَّ العزَّة ـ جلَّ شأنه ـ قال عنهم : **﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** [المائدة :٣٣] هذا هو القرآن الكريم الذى هو دستور الأمة

المحمدية ، جاء بهذه العقوبة الدنيوية لتكون رادعاً للمفسدين فى الأرض ، وفى الآخرة عذاب عظيم .

وإذاً فعقوبة هؤلاء وأمثالهم جسيمة ، وهم أساءوا إلى أنفسهم لأنهم عرضوها لغضب اللَّه وشديد عقابه ، وأساءوا إلى غيرهم من الناس، لأنهم اغتصبوا وفعلوا ما فعلوا من إجرام بعد هذا الاغتصاب الوحشى ، وهم ارتكبوا أفظع المنكرات دون حياء وبلا دين أو مروءة ، وقد شوهوا بإجرامهم المتعدد الألوان صورتهم ولطخوها بالعار والقار ، كما شوهوا صورة وطنهم الذى ينتمون إليه وله الفضل العظيم عليهم ، إنهم المفسدون فى الأرض ، ولابدّ من يوم عبوس قمطرير فى انتظارهم وسيقتص اللَّه منهم أشد القصاص ، وصدق رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم حيث قال : « **إن اللَّه ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته** » [متفق عليه] .

١٥ـ [الإرهاب ظاهرة إجرامية خطيرة]

الحمد للَّه خلقنا فى أحسن تقويم ، وأرسل لنا الرسل مبشرين ومنذرين ومعلمين ، وهم الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة فى دنيانا ، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ،لم يتركنا فى الدنيا بلا رعاية ،وإنما كانت رعايته لنا متواصلة، ونعمه علينا متتابعة ، وفضله فى كل حين مستمرا ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد اللَّه ورسوله ، البشير النذير ، الذى به ختم ربنا الرسالات ، والذى جاءنا بالآيات البينات ، لتوجهنا إلى ما فيه خيرنا دنيا وأخرى ، صلوات اللَّه وسلامه عليك يا رسول اللَّه ، وعلى آلك وأصحابك ، الذين رضى اللَّه عنهم ورضوا عنه، وأولئك هم المفلحون ، فرضى اللَّه عنهم وأرضاهم أجمعين .

أيها الإخوة : لقد ظهرت فى كثير من بلدان العالم ظاهرة إجرامية خطيرة ، وأطلت بوجهها الكالح المتجهم ،والشرر يتطاير من عينيها ، بصورة مزعجة منفرة، تلك الظاهرة هى الإرهاب ، وما أكثر ضحاياه فى كل مكان ، ولقد روع العالم من هول تلك الظاهرة الشيطانية الآثمة ، والتى تحمل اسماً ينفّر من يسمعه، ويزعج من يقرأ عنه فى الصحف ، وهو اسم ثقيل على الآذان ، مقزز للنفوس، ممجوج من الناس ، مرفوض من جانب الإنسانية ، وكل حرف من هذا الاسم يحمل الحقد الأسود ، والشر المدمر ، والفظاظة والقسوة والغلظة ، وكأن هذه الحروف التى تتكون منها تلك الكلمة صواريخ فتاكة ، يوجهها أولئك الأعداء الحاقدون إلى صدر الإنسانية ، للقضاء عليها وإبادتها بتخطيط من الشيطان الرجيم، وتوجيه من جانب هذا العدو اللدود ، الذى حذرنا اللَّه من شره ، وبيّن لنا فى القرآن الكريم عداوته ومكره ، وذلك فى قوله عز وجل : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[فاطر :٦] .

إن الإرهاب ظاهرة عالمية إجرامية ، وهى خطيرة كل الخطر ، ومعادية للدين

والقيم الإيمانية ، ومروعة للإنسانية ، ومزهقة للأرواح بلا رحمة ،وأداة بشعة لسفك الدماء العزيزة ، ومعول هدم للمجتمعات ، وبهذا المعول تباد الحضارات أياً كانت .

وقد اتسع نطاق هذه الظاهرة الممقوتة على مستوى العالم بصورة مذهلة ، وهؤلاء الذين يتزعمونها وينشطون فى ميدانها ، هم أناس غلاظ الأكباد ، قساة القلوب ، حلفاء الشياطين ، بل هم الشياطين أنفسهم ، وهم يصوبون أسلحة الشر التى يحملونها إلى صدور الأبرياء ويزهقون أرواحهم ، وييتمون أولادهم ، ويرمّلون نساءهم ، ويعيثون فساداً فى الأرض ، ويشيعون فيها الذعر والفوضى ، ويدمرون كل شىء يقع تحت أيديهم الملوثة ، وأعينهم الزائفة وهم مصدر كل بلاء وشر ، واللَّه برىء من تصرفاتهم الشائنة ، وسلوكهم المعوج ، وعقابهم شديد عند اللَّه، وهو سبحانه يمهل ولا يهمل ، وليس غافلاً عن ظلمهم وإجرامهم ، وقد جاء فى القرآن الكريم بما يؤكد ذلك ، حيث قال ربُّ العزَّة جلَّ شأنه : ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[القلم:٤٥] وحيث قال : ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق :١٥-١٧] .

وقد تحدث القرآن الكريم عن تلك الظاهرة الإرهابية الشريرة ، وقرر العقوبة المناسبة لمن صنعوها وطبقوها ،والجزاء العادل لمن تزعموا الإجرام الإرهابى الحاقد،وذلك فى قول اللَّه تعالى :﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة :٣٣] .

إنها عقوبة إلهية واضحة المعالم،وهى مرتبة حسب حجم الجريمة التى اقترفت، فمن قتل واستولى على مال قُتل وصلب ، ومن قتل ولم يأخذ مالاً قُتل ولا يصلب ،ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله ، ومن أخاف عباد اللَّه وأشاع الإرهاب دون قتل ودون أخذ مال كانت عقوبته النفى . . تلك هى تفاصيل

العقوبة الدنيوية التى جاء بها القرآن الكريم ، أما العقوبة الأخروية فتتمثل فى القذف بهؤلاء الإرهابيين فى نار جهنم دون رحمة ، إن لم يتوبوا إلى ربهم ، ويثوبوا إلى رشدهم ،ويقلعوا عن غيهم ، ويصححوا مسيرة حياتهم ،ويتحلوا بالفضائل ،ويتخلوا عن الرذائل . .إنهم إذا غيّروا أسلوبهم الإرهابى ،وتابوا وأنابوا ،فإن اللَّه يقبل توبتهم ،ويصفح عنهم ،وصدق ربُّ العزَّة حيث قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى :٢٥] .

إن هؤلاء الإرهابيين صنّفهم القرآن الكريم ، وقرر لكل صنف العقوبة المناسبة فى الدنيا ، وبتوقيع تلك العقوبة القرآنية الدنيوية يكون القضاء على تلك الظاهرة الإرهابية ، وينحسر الإجرام ويختفى شبح هذه الرذيلة المخيفة المزعجة ، ويستريح العالم من شر المجرمين ، ويتنفس الناس الصعداء ، ويعيشون مطمئنين هانئين ، آمنين على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، بعيدين عن كل ما يهدد حياتهم ، ويقلق راحتهم ، ويزعج نفوسهم ، ويحزن قلوبهم ، ويقض مضاجعهم . .

إن هؤلاء الإرهابيين انعدمت لديهم الضمائر ، وهم يعيشون فى ظل الحقد الأعمى ، والتخبط الشيطانى ، والهوس الفكرى ، والسلوك المنحرف ، والتفكير الضال المضل ، والمسيرة الحياتية المظلمة ، ولهذا فهم ملفوظون من جانب العالم، مكروهون من اللَّه ومن العباد . وما أكثر ما أسال الإرهابيون من دماء زكية ولا سيما فى أرض الجزائر الشقيقة ، وما أفظع ما قاموا به من أعمال وحشية ، فقد قتلوا عائلات بأكملها ، واغتصبوا الكثير من النساء ومارسوا القتل الوحشى بصورة مذهلة ، ودمروا المنازل ، وروعوا الآمنين ، واستعملوا فى إرهابهم ألوانا شتى من أجل هذا الهدف الشيطانى وهو القتل بالجملة وبقسوة بالغة ، فهل هذا التصرف الذى بهذه الوحشية يرضى عنه اللَّه أو يرضى عنه الإنسان السوى ؟ إن اللَّه لا يرضى عن هذا التصرف الشائن ، ولبئس ما يفعل هؤلاء المجرمون .

أيها الإخوة : إن من الواجب والمحتم على كل قادة العالم ، التصدى الحازم القوى لهذه الظاهرة الإجرامية ، والقضاء على هذه الفتنة الشريرة التى اتسعت دائرتها وزادت مساحتها ، وليكن هناك تحالف قوى إيجابى لمحاصرة هذه الظاهرة السلبية والقضاء التام عليها ، لكى ينعم الناس بحياة آمنة ، ويعيشوا فى طمأنينة واستقرار، ومصرنا العزيزة عاشت فى هذا الجو الإرهابى فترة من الزمن ، ولكن رجال الأمن فيها استطاعوا وقف نزيف الإرهاب ، وتعقبوا هؤلاء الآثمين فى كل موقع من مواقعهم ، وقتلوا البعض منهم وألقوا القبض على الآخرين ، وبهذه اليقظة الأمنية ، حفظ اللَّه مصرنا العزيزة من شر الأشرار ، وأبعد عنها شبح الإرهاب المخيف ، وربنا ليس غافلاً عما يعمل الظالمون ، ولا بدّ من الانتقام الربانى من هؤلاء القتلة ، وصدق رسول اللَّه ﷺ حيث قال : « **إن اللَّه ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته** » [متفق عليه] .

١٦ـ [الخمر وسائر المخدرات شر وبلاء]

الحمد للّه القادر بلا حدود ، والعالم بكل شيء مهما كان خفيا ، وهو سبحانه على كل شيء قدير ، وبكل شئ عليم ، وأشهد ألا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، فهو الإلهُ الواحد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد،وأشهد أن سيدنا محمداً عبد اللّه ورسوله ، اختاره ربه من خلاصة خلقه،واصطفاه من أفضل العناصر ، صلوات اللّه وسلامه عليك يا رسول اللّه ، وعلى آلك وأصحابك ، الطيبين الطاهرين ،فرضى اللّه عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة الأحبة : العقل نعمة كبرى من نعم اللّه ، ومنحة ربانية من الخالق للمخلوق ، وهذه النعمة تقتضى الحفاظ عليها وعدم الإضرار بها ، واستخدامها فيما يعود بالخير على من أنعم بها عليه وعلى غيره ، وبهذا الاستخدام الأمثل ، والحفاظ على تلك النعمة ، تتواصل نعم اللّه على الإنسان ، لأنه بهذا السلوك المحمود يكون شاكراً ربه ، حامدا خالقه ، مستقيماً فى مسيرة حياته ، ونتيجة لهذه المسيرة العطرة ، يتحقق فيه قول الله تعالى :﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم :٧] .

أما إذا كان استخدام النعمة العقلية فى غير المسار الطبيعى الذى لا يرضى عنه اللّه ،وكان هناك انحراف فى توظيفها ، وبعد عن المحافظة عليها ، فإن اللّه سيحاسب من أتلفها ، وسيعاقبه أشد العقاب ، وينطبق عليه قول اللّه تعالى : ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم :٧] .

وإذاً فمن الدين أن يحافظ الإنسان على عقله لأنه من أعظم نعم اللّه ، ولكن للأسف الشديد ، ابتلى المجتمع الإنسانى بمن حطموا عقولهم ، وخربوا نعم الله

عليهم ، ولم يقابلوا النعم الربانية بالحفظ والصون ، ولا بالحمد والشكر ، واتجهوا بها اتجاها سيئا ، حيث عاشوا مع المخدارات التى هى بلاء ، وتعاطوها بصورة رهيبة مهلكة ، وتناولوها بجرعات كبيرة ضارة مؤذية وبهذا التعاطى الضار، وبذلك الانحراف بالنعمة ، والبعد عن المسار الصحيح ، تكون الكارثة ، وتحدث المصائب ، ويكون التخبط فى الحياة ، والإسراف فى أسوأ ميدان ، والله سبحانه وتعالى نهى عن الإسراف فى كل شىء ، فى الطعام وفى الشراب وفى العبادة وفى كل ما يؤدى إلى الضرر بأى صورة من الصور ، واللَّه تبارك وتعالى لا يحب المسرفين . وهذا هو القرآن الكريم جاء بقول اللَّه تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف :٣١] وبقوله جل شأنه : ﴿وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[الإسراء : ٣٦ - ٣٧] .

ثم إن الخمر والمخدرات بجميع ألوانها وشتى أنواعها إنما هى رجس من عمل الشيطان ، وقد جاء الأمر الإلهى باجتناب ذلك ، وصدق ربُّ العزَّة حيث قال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة : ٩٠] .

ثم إن الخمر وغيرها مما يتلف العقول ، تفتح الباب واسعا أمام الشيطان ليجول ويصول ، ويبث فى النفوس نزغاته ، ويصد الإنسان عن ذكر ربه ، ويزرع الإحَنَ والعداوة والبغضاء بين الناس ولا سيما الذين يتعاطونها ، ويقطع الروابط بينهم وبين غير المتعاطين ، كما أنه يحول بين الإنسان وبين أداء واجبه نحو خالقه من صلاة وغيرها من عبادات أخرى ، وقد جاءت الآية الكريمة بذلك كله فى قوله اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[المائدة : ٩١] .

أيها الإخوة : المخدرات أساس البلاء، وأصل كل معصية ، ورأس كل خطيئة، وهى أم الخبائث ، وضررها متعدد الألوان ، وهى مصدر كل شر ، وإليكم بعض أضرار هذه المخدرات :

إنها بالنسبة لمن يتعاطاها ، مخربة لعقله ، ضارة بصحته ، مذهبة لهيبته ، متلفة لماله ، وهى تجعله غير متزن فى تصرفاته ، ولا مبال بأعماله ، ويعيش حياته متنقلاً هنا وهناك ، باحثاً عن المخدرات، أسيرا للعادة ، ملبياً نداء الشيطان ، مبذراً فى أخس ميدان .

ثم إنه فى سبيل ذلك السلوك ، وتعاطى هذه السموم ، يقتر على أسرته، ولا يفكر فى مسئوليته نحوها ، ولا يكترث بشيء تجاهها، لأنه قد انعدمت فيه المشاعر الإنسانية، وتبلد ذهنه وتحجرت عاطفته ، فهو ضار بنفسه وضار بأسرته ، وليت الأمر يقف عند هذا الحد ، وإنما يتعدى الضرر إلى المجتمع ، حيث إن الذى يعيش فى جو المخدرات ، ينسى واجبه نحو وطنه ، ويكون سلبياً بالنسبة لمجتمعه، فلا يدافع عنه ، ولا يعمل على رقيه ، ولا يقدم له خيراً ، ولا يهمه تقدمه ، ولا يشارك فى نهضته ، لأنه يحصر كل تفكيره فى مزاجه، وفى تناول تلك السموم التى تشل تفكيره ، وتهدم جسمه ، وتهدد حياته، وتفقده وعيه ، وتنقله من الآدمية التى كرمها اللّه فى القرآن الكريم إلى الحيوانية البهيمية ، وتجعله محلاً للمهانة والسخرية . والتهكم والاستهزاء ، وما السبب فى الوصول إلى تلك النتيجة السيئة؟ إنها المخدرات التى جعلته ساقطاً فى أعين الناس إن المخدرات مفتاح كل شر ، وهى تقود متناولها إلى ارتكاب الجرائم الضارة ، والمعاصى المهلكة .

ومما يدل على بشاعتها ومضاعفاتها ، أن ملكا من ملوك بنى إسرائيل خيّر رجلاً بين فعل واحد من أربعة أمور : بين أن يشرب الخمر، أو يقتل نفساً ، أو

يزنى ، أو يأكل لحم خنزير ، وإذا لم ينفذ ما طلب منه فإنه سيعاقب بالقتل ، وأخذ الرجل يفكر فيما أُمِرَ به ، فماذا حدث له ؟ وما نتيجة هذا الاختبار ؟ إنه بعد ما شرب الخمر قتل، وزنى ،وأكل لحم الخنزير ، وهكذا وقع فى بؤرة أربعة أمور، واقترف كل الأمور التى خير بينها ، والذى قاده إلى ارتكاب تلك الجرائم كلها إنما هو شرب الخمر ، لأنه بهذا السم الزعاف غاب عقله ، فلم يعد يفكر التفكير السليم ، ولم يتصرف تصرف العقلاء ، ووقع فى ارتكاب المحظور .

إن المخدرات كثرت فى هذا الزمن ، وتنوعت أسماؤها ، وأصبحت أداة لهدم المجتمع ، وتقويض بنيان الوطن ، فهى معول هدم ، وجرثومة خطيرة ذات مضاعفات كبيرة خطيرة، وقد لعن اللَّه الخمر ، ويقاس عليها فى اللعنة والضرر غيرها من كل مخدر ، والرسول عليه الصلاة والسلام لعن الخمر ولعن غيرها ممن يتعاطونها أو يحملونها أو يعصرونها أو يبيعونها أو يشترونها ، حيث قال عليه السلام :« **لعن اللَّه الخمر وشاربها وساقيها ، وبائعها ومبتاعها ، وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها والمحمولة إليه** » [أبو داود] .

١٧ـ [التدخين وباء قاتل]

الحمد للَّه يريد لنا الخير ، وتوجيهات ديننا كلها خير وفيها النجاح فمن طبقها فى حياته فاز وسعد ، ومن لم يطبقها خاب وخسر ، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، أعدّ الجنة والفوز برضاه لمن نفذ أوامره واجتنب نواهيه ، والنار لمن عصاه وخالفه ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد اللَّه ورسوله ، كان يطبق التطبيق الأمين الصادق ما أمر به اللَّه ونهى عنه ، صلوات اللَّه وسلامه عليك يا رسول اللَّه، وعلى آلك وأصحابك ، الذين استجابوا للَّه وللرسول ، ولم ينحرفوا فى حياتهم، فرضى اللَّه عنهم وأرضاهم أجمعين .

أيها الإخوة المسلمون : إذا كانت المخدرات ضارة فالتدخين أيضاً ضار ، وإذا كانت المخدرات حراماً فالتدخين أيضاً حرام ، وذلك لما يترتب على كل منهما من آثار سلبية ضارة كل الضرر ؛ ضارة بالعقل وبأجهزة أخرى فى الجسم ، وضارة بالمال ، وضارة بالأسرة ، وضارة بالمجتمع ، وإذاً فالتدخين جرثومة تفتك بالأجسام ، ووباء مدمر للمجتمعات ، وسم زعاف قاتل ، وما أكثر ضحايا عادة التدخين ، تلك العادة التى تمكنت من المدخنين ، وجعلتهم أسرى لها ، وإنه لمن العار أن يكون الإنسان أسيراً لعادة قاتلة ، وأن ينقاد لها ولا يستطيع الفكاك منها ، وهو ذلك الرجل الذى وهبه اللَّه نعمة العقل ،وكرمه وفضله ، ومن الواجب على هذا الإنسان المكرم من ربه ،والذى امتاز بالعقل الذى به يعرف الضار والنافع؛من الواجب عليه أن يتخلص نهائياً من هذا التدخين الضار ،ويقلع إقلاعاً تاماً عن هذا الوباء وذلك البلاء ، الذى استشرى واتسع نطاقه ، وأخذ بتلابيب كثير من أفراد المجتمع ، وقد امتدت هذه العادة السيِّئة السخيفة الضارة إلى

الأطفال الذين هم فى عمر الزهور ، بل وامتدت إلى بعض الأمهات والبنات ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الانهيار السريع للمجتمع . واتساع دائرة التدخين بهذه السرعة وذلك الانتشار المخيف ، لَمِمَّا يعجل بالنهاية المؤلمة للوطن العزيز ، وقيادته إلى الهاوية بمن فيه .

وتعالوا بنا أيها الإخوة لنناقش هذه العادة الكريهة الممقوتة ، وننظر إلى سلبياتها ومضاعفاتها وآثارها السيئة ، ونتيجة لهذه المناقشة الجادة الواعية ، سنقتنع كل الاقتناع بما يترتب على التدخين من آثار سيئة للغاية ، وسلبيات هدامة مدمرة ، وأمراض قاتلة للفرد والمجتمع ، وقد أثبتت الأبحاث الطبية التى هى على أعلى المستويات ، أن أمراض الرئتين والجهاز التنفسى والقلب وغير ذلك من أمراض أخرى ، ناشئة عن تناول هذا الوباء وهو التدخين .

ثم إن المدخنين لا يضرون بأنفسهم فحسب وإنما يمتد الضرر إلى غيرهم ممن لم يدخنوا ، إذ إن تواجدهم معهم ينعكس أثر الدخان عليهم ويضر بهم كل الضرر ،وهم بجلوسهم مع المدخنين يعتبرون مشاركين لهم وهذا ما يسمى بالتدخين السلبى ،ولهذا فأضرار الدخان تصيب المدخن وتصيب غيره ممن يجلسون معه حتى ولو لم يدخنوا، ولا تنسى رائحة فم المدخن ، إنها رائحة كريهة مقززة ، وتلك هى أسنان المدخن تبدو وعليها طبقة صفراء أو سوداء مما تراكم عليها من التدخين ،مما يجعلها ذات منظر قبيح،وبالإضافة إلى هذا فالتدخين يعرضها للتلف.

تلك هى الآثار المترتبة على التدخين ،وهذه هى أضرار التدخين بادية للعيان وواضحة،والدين بالإضافة إلى ما سبق يجرم هذا السلوك ،وذلك لما فيه من إهدار للمال والصحة وهذا محرم ،واللَّه تعالى نهانا عن تناول شيء فيه ضرر ، حيث قال سبحانه : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة:١٩٥] والتدخين ضار ومهلك ،

فلماذا نسعى إلى الضرر والتهلكة ؟ أليست لدى المدخنين عقول ؟ إن هذا لشيء عجاب، وهذا هو الرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه يقول: « **لا ضرر ولا ضرار** » [أحمد وابن ماجة] أى لا يضر الإنسان نفسه ولا يضر غيره ، وإذا فالتدخين ضار صحيا ودينيا وهو ضار بالأسرة والمجتمع ، فليرحم المدخنون أنفسهم وأسرهم ومجتمعهم وليتخلصوا من التدخين .

أيها الإخوة: من العار أن يكون المدخن أسيرا لعادة ضارة ،وهو بتدخينه يلحق الضرر بأسرته لتقتيره عليها ،وحرمانها من أبسط الحاجيات الضرورية لها ، والسبب فى ذلك الدخان الذى يتناوله بشراهة ، وقد تكون حالته المادية ضعيفة فيقترض من الغير ليشبع رغبته ، ويظل بهذه الصورة مقترضا من هنا و هناك حتى تتراكم عليه الديون التى تثقل كاهله ، ولا يستطيع القيام وبسدادها ، والدين هم بالليل وذل بالنهار ، إن التدخين هو الذى أوصله إلى تلك النتيجة السيئة ، والأسرة فى ظل ذلك المسلك تعانى من التقتير عليها وعدم قدرتها على شراء متطلباتها ، فليراجع المدخنون شريط حياتهم ،ولينقذوا أنفسهم وعائلاتهم ، وليتخلصوا نهائيا من التِّيهِ الذى يعيشون فيه ، وحرام عليهم أن يظلوا على هذا الوضع السيئ دون مراجعة لأنفسهم ،وتخلص من أسر عاداتهم ، وليعلموا أن المال الذى ينفقونه على أمزجتهم سيؤدى بهم إلى حتفهم ، ثم إن السنوات التى يقضونها فى التدخين إذا كان متوسطها خمسين عاما مثلا ، فإن عشرات من آلاف الجنيهات تكون أنفقت فى تلك السنوات على تلك العادة القبيحة ، وإذا افترضنا أن المدخن يدخن فى اليوم بمبلغ ستة جنيهات فإن المبلغ الذى ينفقه على خمسين عاما يصل إلى مائة ألف وثمانية جنيهات أليست هذه ثروة كبيرة مهدرة فى ميدان شيطانى ضار بأكثر من جهة، وهذا المبلغ هو المتوسط فيما ينفق فى هذا المجال؟ ،وهناك من يشترى من هذا السم ضعف هذا المبلغ أو أكثر، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلى العظيم.

أيها المسلمون : أما آن الأوان لشن حرب شرسة على تلك العادة القبيحة التى تمكنت من كثير من الناس ؟ أما آن الأوان للتخلص من هذا الوباء الفتاك ؟ أما آن الأوان ليكون المدخنون بعد تركهم التدخين قدوة صالحة لأبنائهم ؟ وبهذا يكون الأبناء نموذجا طيبا لأنهم وجدوا الأسوة الحسنة فى آباء جديرين بالاقتداء بهم ، والولد صورة من أبيه ، ، فإذا كانت حياة الأب فى إطار الفضائل والبعد عن الرذائل ، فإن أولاده يكونون صورة منه فى حسن السلوك والمسيرة الطيبة ، ومن شذ من الأبناء عن هذه الحياة النظيفة فهذا شىء نادر ،وإذا كان الوالد يهمه أن يلبى رغبات النفس حتى ولو كانت حراما ، كأن يتناول مخدرا أو غير ذلك من أشياء لا يرضى عنها اللَّه فإن أولاده يفعلون مثل ما يفعل ، ويسلكون مسلكه ، ويتصرفون تصرفه ومن شذ عن هذا الخط فهو أيضا شىء نادر ، فالقدوة لها تأثيرها فى النفوس ، وهكذا نجد عدوى التدخين وغيره من الرذائل تنتقل من الآباء إلى الأبناء ، وهى عدوى قاتلة ، وتحمل الضرر الكبير إلى كثير من الناس ، وإنى لأعجب لحال المدخنين ، فهم يعرفون أن التدخين ضار ، وهم يجدون التحذير من التدخين مكتوبا على العلبة، فلماذا لا يتخذون القرار الجرىء الشجاع ضد هذا الوباء ؟ ولماذا لا يحكمون عقولهم ويتخلصون من هذا الإدمان الممقوت ؟ هداهم اللَّه إلى اتخاذ قرارهم بالتخلص من تلك العادة المرذولة ، وصدق الرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه حيث قال : « **لا ضرر ولا ضرار**» [أحمد وابن ماجة].

١٨ ـ [شهادة الزور ظلم وتضليل]

الحمد للّه الموصوف بالعلم الذى لا حدود له ، فهو جل شأنه يعلم كل ما فى هذا الكون الفسيح المترامى الأطراف ،وهو بكل شيء عليم ،وأشهد ألا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ،العالم القادر القوى المتين ، الذى لا يعزب عن علمه شيء فى الأرض ولا فى السماء ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد اللّه ورسوله ، وُصِفَ بالصدق والأمانة ، فهو الصادق الأمين ،وهو حبيبنا وحبيب ربٍّ العالمين صلوات اللّه وسلامه عليك يا رسول اللّه ، وعلى آلك وأصحابك ، الذين اقتدوا بك فى حياتهم ، وعاشوا فى رحاب خالقهم ، فرضى اللّه عنهم وأرضاهم أجمعين .

أيها الإخوة المؤمنون :جاء الإسلام بمكارم الأخلاق ، ومحاسن الخلال ، وحثَّ المسلمين على التحلى بهذه الأخلاق وتلك الخلال ، والبعد عما يشوّه الشخصية الإسلامية ، من مرذول الصفات وقبيح الأفعال ، والمسلم الذى يلزم نفسه بالتحلى بأخلاق الإسلام ، والتخلى عن سيئ الخصال وسوء السلوك ، يكون إنسانا معتزا بدينه وكرامته، ولهذا يكون من المرضى عنهم من اللّه، فالأخلاق الطيبة ثروة المؤمن،وحسن السلوك ثمرة من أطيب ثمرات الدين الإيمانى،وإنه لمن الواجب على كل من ينتمى إلى هذا الدين العظيم ، أن يتخلق بحق وصدق بأخلاقه ،وأن يعيش دائما فى هذا الإطار الإسلامى ،وينأى بنفسه عن كل ما يسيئ إليه وإلى دينه ، من صفات قبيحة ، وسلوك معوج ، وعادات مرذولة هذا هو الإسلام ، إنه دين السيرة العطرة ، والسجايا الفاضلة » ، والخروج عن هذا المسار انحراف وبعد عن الدين ، ومن هنا وجب على المسلم أن يعتز بدينه ، ويطبق ما

جاء به من توجيهات ، ويبتعد كل الابتعاد عن الرذائل ،ولكن للأسف الشديد هناك أناس ينتمون إلى ديننا والدين منهم براء ،حيث إنهم يقلبون الحقائق ،وينصرون الظالمين ،ويضيعون حقوق المظلومين ،دون خوف من اللّه ،وبلا حياء من خالق أو مخلوق ، وهذا سلوك سيئ ، وعمل قبيح ، وتصرف لا يُرضى رب العالمين.. إنهم اتصفوا برذيلة من أشنع الرذائل وأبشعها وعاشوا معانقين لها غير منفكين عنها، ألا وهى شهادة الزور ، تلك التى وصفها اللّه فى القرآن الكريم بجوار عبادة الأصنام ،وهذا الجوار يدل على أن هذه الشهادة الجائرة الظالمة لها آثار مدمرة،وخطرها جسيم على من شهد بها وعلى المشهود له ،وعلى المشهود عليه وعلى المجتمع كله ،وهذا هو القرآن الكريم يأتى بهذه الجريمة فى آية منه بجوار الكفر باللّه ،وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على شدة بشاعتها وفظاعتها ، وذلك فى قول اللّه تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

إن شهادة الزور جريمة من أشد الجرائم ، وقد أمر اللّه المؤمنين باجتنابها حتى لا يقعوا فى مستنقع العذاب ، ويعرضوا أنفسهم لأشد العقاب ، ومن شأن المؤمن أن يبتعد عن هذه الرذيلة ، لأنها تضيع الحقوق ،وتساعد على نشر الفساد ، وتغضب ربَّ الأرض والسماء ،وهذه الشهادة المزورة ، مبنية على الكذب ،وقائمة على الغش،ومؤسسة على الظلم والغدر،وشاهد الزور إنسان تافه،عديم الشخصية، وهو بشهادته ألحق الإهانة بنفسه،وعرضها لغضب اللّه وشديد عقابه،وإنى لأعجب لشاهد الزور كيف تسمح له نفسه بأن يلوث لسانه بهذه الشهادة الكاذبة المضللة المضيعة حقوق المظلومين ؟ وما العائد عليه من تلك الشهادة ؟ إنه إذا كان يبغى من وراء شهادته الحصول على مبلغ مالى فبئس هذا التصرف ، إذ إنه سيؤدى به إلى غضب اللّه وشديد عذابه،وهذا المبلغ الذى يحصل عليه هو سحت وحرام ، وكل جسم نبت من سحت فالنار أولى به ، ثم إن هذا المال الذى أخذه عن طريق

شهادة الزور ، لن يبارك اللَّه فيه أبداً ، وإذا كان الهدف من شهادته مجاملة قريب أو صديق أو رئيس ،فبئست هذه المجاملة التى على حساب الدين والشرف والمروءة،وهو بشهادته الآثمة طمس الحقيقة ،وأضاع الحق ، وانحاز إلى جانب الباطل ،وويل له من اللَّه يوم لقائه،وما أشد العذاب الذى ينتظره لأنه أدلى بشهادة ،ولم يكن باراً بهذا القسم أمام المحكمة ، فهو كذَّاب أشر ، ومزور مضيع للحقوق على أصحابها .

أيها المسلمون :شهادة الزور من أكبر الكبائر ، ومن أبشع الذنوب وأضخمها، وتتركب هذه الشهادة من **ثلاثة أشياء**: **أولها**: الظلم واللَّه تعالى نهى عن الظلم ولا يحب الظالمين ،وحساب الظالمين عند اللَّه عسير .**وثانيها**: الكذب ، والكذب يهدى إلى الفجور ،والفجور يهدى إلى النار ،**وثالثها**: الإساءة إلى صاحب الحق، والحيلولة بينه وبين الحصول على حقه ، وهو بشهادته المزورة الزائفة المبنية على الغش والكذب والغدر والظلم،فوّت على صاحب الحق حقه،وألحق به الأذى، مع أنه كان فى أمس الحاجة إلى من يقف بجواره ليصل إليه حقه .

ولما كانت شهادة الزور عظيمة الخطر ، وذات سلبية مدمرة ، وعواقب وخيمة ، لما كانت بهذا الحجم الكبير ،والأثر الخطير ،فقد تحدث الرسول عليه الصلاة والسلام عن فظاعة حجمها ، وبشاعة آثارها ،حيث قال صلوات اللَّه وسلامه عليه لأصحابه :«**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا بلى يا رسول اللَّه ، قال : الإشراك باللَّه ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وقول الزور ، وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت** » [البخارى ومسلم] .

إن هذا الحديث المحمدى ، يدل دلالة واضحة على كبر حجم رذيلة شهادة الزور . ولهذا فالرسول عليه الصلاة والسلام اعتدل فى جلسته بعد أن كان متكئاً

وبعد أن تحدث عن الإشراك باللّه وعن عقوق الوالدين بعد ذلك كله تحدث عن شهادة الزور، وأخذ عليه السلام يكررها ويكررها ليؤكد كبر حجم تلك الجريمة، وليقرر للصحابة ولغيرهم من أبناء الأمة المحمدية أن شهادة الزور لها أبعاد خطيرة، وآثار مدمرة ،وعواقب وخيمة. ولذا فالصحابة أشفقوا على رسول اللّه فى تكراره لها وتمنوا أن يسكت.

إن شهادة الزور خطيرة خطيرة ، وأى تغيير فى أداء الشهادة والبعد بها عن الحقيقة والواقع يعتبر كذباً وزوراً ، ومن يكتم الشهادة فهو مأزور ، ومن يؤديها كذباً فهو آثم ومن اللّه معاقب ، ورب العزة نهى عن تزوير الشهادة أو كتمانها ، حيث قال جل شأنه : ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة :٢٨٣] وبين ربُّ العزَّة جلَّ شأنه أن من صفات أحبابه عباد الرحمن ، أنهم يقولون الحق ويعيشون مع الحق ولا يشهدون الزور ،وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢)﴾ [الفرقان] وصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث قال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا بلى يا رسول اللّه . قال : الإشراك باللّه ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال ألا وقول الزور ، وشهادة الزور . فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت» [البخارى ومسلم] .

١٩ ـ [جريمة القتل من أبشع الجرائم]

الحمد للَّه حرم قتل الإنسان لأخيه الإنسان ، لأن الأرواح مملوكة للَّه ،وهو صاحب التصرف فيها وليس الإنسان ،وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، نظم الكون ودبر أموره ، وبنى سبحانه كل شيء فيه على الحكمة ،وإذا فالإنسان يجب عليه ألا يتعدى على شيء من مخلوقات اللَّه ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد اللَّه ورسوله ،جاءنا بالأوامر الربانية والنواهى الإلهية ، فما كان أمرا نفذناه ، وما كان نهيا اجتنبناه ،صلوات اللَّه وسلامه عليك يا رسول اللَّه،وعلى آلك وأصحابك،الذين كانوا يستمعون القول فيتبعون أحسنه ،فرضى اللَّه عنهم وأرضاهم أجمعين .

أيها المسلمون : جريمة القتل من أكبر الجرائم ، وهى ظاهرة تقشعر من هولها الأبدان ، وتشمئز النفوس عند سماعها ، وتفزع الأفئدة من بشاعتها ، ومرتكب هذه الجريمة إنسان قاس لا رحمة عنده ، وهو فظ غليظ القلب ، ولا ضمير عنده يردعه ، ولا إنسانية لديه ، وهو وحش فى صورة إنسان ، والقتلة برهنوا بأعمالهم الإجرامية على أنهم لا خلاق لهم ، وأنهم تجردوا من خصال الخير ، وأن حياتهم مبنية على نوازع الشر ، وهم بامتداد أيديهم إلى انتزاع أرواح ضحاياهم بصورة وحشية مجنونة ، تعدوا على حق مملوك للَّه لا لهم،لأن اللَّه هو خالقها وهو مالكها ، لكنهم أزهقوها من أجل أسباب تافهة ، أو من أجل ارتكاب جريمة أخرى وهى السرقة ،وليت الأمر وقف عند هذا الحد وهو القتل ، وإنما أضاف القتلة إلى جريمة القتل جريمة أخرى بشعة ،وهى التمثيل بالجثة بعد إزهاق روح صاحبها ، وبصورة رهيبة تؤكد أن القتلة تحولوا من إنسانيتهم إلى وحوش صحراوية مفترسة،

وهم يقطعون الجثة إرباً إرباً ، لتختفى معالمها ولا يستدل عليها ، أو يعمدون إلى حرقها حتى تتفحم ،وإذاً فقتل أولاً ، وتقطيع الجثة إلى أجزاء صغيرة أو حرقها ثانياً ، والقاتل بهذا التصرف الإجرامى يكون مرتكباً لجريمتين لا لجريمة واحدة ، وكلتا الجريمتين يهتز من هولهما عرش الرحمن ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلى العظيم .

تحدث هذه الظاهرة الإجرامية الوحشية البشعة فى وطننا العزيز ، وتطالعنا الصحف بها فتشمئز النفوس ، وتقشعر الأبدان وتأتينا الأنباء عن اتساع تلك الظاهرة وتفشيها ، وتقص علينا هذه المآسى المزعجة المؤلمة ، التى يقوم بتجسيدها أناس خلت قلوبهم من الرحمة،وتحولوا إلى وحوش كاسرة،فهم أعداء الإنسانية، وهم لا يعرفون ربا ،ولا يفكرون فى آخرة ،وكل تفكيرهم شيطانى، والمسلسل الإجرامى الذى يقومون به على مسرح الحياة ، إنما هو من صنع الشيطان الرجيم، وهو قد استخدمهم ليقوموا بالتنفيذ، فهم أداة شيطانية شريرة، وقد يكون سبب القتل فى غاية البساطة ،ولكن القاتل ضخم هذا السبب ،وانتهز الشيطان تلك الفرصة ،وزين للقاتل ارتكاب هذا الجرم الشنيع ،والقيام بهذا العمل الإجرامى الإرهابى المروع ،وعندئذ تحدث مأساة القتل ، تنفيذا لتعليمات الشيطان ، وتأثرا بوساوسه وارتماءاً فى أحضانه . . إنه لمخطط رهيب. ومسلك شائن ،واعتداء صارخ على روح هى من صنع اللَّه المالك لها . . وإنى لأعجب لهذا القاتل ، ألم يفكر فى المصير السيئ الذى ينتظره يوم القيامة ؟ وألم يعرف أن من قتل يقتل ولو بعد حين ؟ وألم يستخدم عقله الذى هو منحة ربانية نعرف بها الخير لنسلك طريقه،والشرّ لنتجنب السير فيه ؟ إن الواضح أن القاتل لم يفكر فى شيءمن ذلك،لأنه سلم زمام أمره للشيطان وعاش فى دائرة نزغاته، وجسد الفكر الشيطانى وحوَّله إلى واقع ملموس ،بعد أن تجرد من خلال البر،وانحط إلى درجة الحيوانية

الوحشية ، وعرّض حياته وحياة وطنه إلى الدمار.

أيها الإخوة : لقد تفشت جريمة القتل بصورة مذهلة ، ولأتفه الأسباب ترتكب هذه الجريمة ،وصار القتل شيئاً مألوفاً فى هذا الزمن ، وأصبح مسرح الحياة مكتظا بالممثلين الذين يمارسون هذا الجرم ، وكل واحد يؤدى دوره الذى كلفه به الشيطان ،ويطبق ما أنيط به من عمل خسيس ،فالشيطان هو المنسق والمخرج والمخطط والمدبر،والتنفيذ من قبل من جندوا فى هذا الميدان بزعامة إبليس . وللأسف الشديد هناك تفريط من جانب هؤلاء القتلة فى حقوق اللَّه ، فلا التزام ولا حياء ،ولا تطبيق لما أمر به الله أو نهى عنه،ولا خوف من أهوال يوم القيامة،ولا اتعاظ بموت ، ولا مراجعة للنفس ، إنهم فى سلبية بالنسبة لحقوق اللَّه خالقهم ، أما تعاملهم مع الشيطان فهم له منقادون ، ولأوامره منفذون ، وبوساوسه متأثرون ، وعلى مسرحه مجتهدون ، وبئس هذا الصنيع ، وإن تعجب فعجب امتداد أيدى القتلة إلى آبائهم وأمهاتهم فى هذا ا$زمن ، وبهذه الأيدى الملوثة يقتل هؤلاء العاقون من أسدوا إليهم الجميل من الآباء والأمهات ، ويزهقون أرواح من هم أصل وجودهم ، وتعبوا فى الحياة من أجلهم ، وكدّوا فى دنياهم من أجل إسعادهم ، وبذلوا جهداً كبيراً فى سبيل توفير الحياة الكريمة لهم ، وضحوا بكل غال ونفيس لديهم لكى يروا أبناءهم وبناتهم فى أحسن حال، ولقد قامت الأمهات بدور كبير ، وتحملن المشقات والمتاعب ، ولكنهن كنّ سعيدات . . الأم حملت ووضعت وأرضعت وربت ، ونظفت الملابس وأعدت الطعام ، وسهرت الليالى من أجل راحة أولادها ، والوالد هو الآخر يؤدى دوره خارج المنزل ، ويقوم بعمله إما فى وظيفة أو متجر أو زراعة أو صناعة أو غير ذلك . وكل هذا الجهد من جانب الأبوين لصالح الأبناء والبنات ، ولكن للأسف الشديد . انقلبت الموازين فى العصر الحاضر ، واختل النظام ، وبدلاً من الشكر

المضاعف من جانب الذرية إلى الآباء والأمهات على ما بُذل منهم من مجهود يُذكر فيشكر ، بدلاً من هذا كان القتل من جانب من أسدى إليهم المعروف، فهل هذا هو الوفاء ؟ وهل هذا هو بر الأبناء ؟ إن هذا التصرف الشيطانى يسجله الزمن بمداد القار .وإن هذا المسلك المعوج ليدل على أن القيم ضاعت ، والأخلاق القوية انهارت ،والحياء قد اختفى ، والمروءة تلاشت . .

إن الصحف تطالعنا بأنبائها فى هذا الشأن فهذا ابن قتل والده ، وهذا ابن قتل أمه ، وقد تكررت الحوادث مع الآباء والأمهات بصورة تشمئز منها الإنسانية ، وقد نسى هؤلاء الأبناء القتلة ما للوالدين من حقوق مقدسة ، وربُّ العزَّة جلَّ شأنه أمر بشكر الوالدين لا بقتلهما ، وصدق ربُّ العزَّة حيث قال : ﴿**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ [لقمان :١٤] .

وأول جريمة قتل وقعت فى الأرض كانت من جانب قابيل لأخيه هابيل ابنى آدم عليه السلام ، والسبب فى هذا القتل تافه ولكن الشيطان لعب دوره ، وصدق الرسول عليه الصلاة والسلام حيث قال: « **لزوال الدنيا أهون عند اللَّه من قتل رجل مسلم** » [مسلم والنسائى] .

٢٠ ـ [الرشوة تدمير للأخلاق الإيمانية]

الحمد للَّه يحبّ الإنسان السوى فى عقيدته وأخلاقه ، ويبغض الإنسان المعوج فى دنياه عقيدة وسلوكاً ، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، أرسل رسله إلى خلقه ، بالعقائد الواضحة ، والأخلاق السامية ، وبما هو حلال وبما هو حرام، وأشهد أن سيدنا محمدًّا عبد اللَّه ورسوله ، أخبرنا بأن المؤمن القوى خير وأحب إلى اللَّه من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، صلوات اللَّه وسلامه عليك يا رسول اللَّه ،وعلى آلك وأصحابك ، الذين عرفوا اللَّه فعرفهم ، وتقربوا إليه بالطاعة فأحبهم ، فرضى اللَّه عنهم وأرضاهم أجمعين .

أيها الإخوة الأحباب : من السلبيات فى المجتمع الإسلامى ، قيام بعض من لا يخافون اللَّه ، بتقديم رشوة لإنسان تحت يده مصلحة لمن أعطى الرشوة ؛ يعطيه هذه الرشوة لكى يسهل له شيئاً يحب تحقيقه ، أو ليدفع عنه مكروهاً لا يريده ولا يحب وقوعه ،ولخطورة الرِّشوة وما يترتب عليها من آثار سلبية ومضاعفات سيئة،فقد جرمها الإسلام ونهى عن الوقوع فيها،ولكى يكون بمعنى الرشوة واضح المعالم ،جلى المفهوم ، فإنى سأوضح ذلك دون تعقيد وبأسلوب سهل وطريقة مبسطة ،حتى تكون معروفة لدى من لم يكن له المام كامل بمعرفتها، وبيان ذلك ببساطة . . أن يعطى شخص أو عدة أشخاص مباشرة لرجل آخر هدية ذات قيمة أو مبلغاً من المال لقضاء مصلحة عند هذا الرجل الذى أخذ الهدية أو المال ، وهناك طريقة أخرى وهى أن يتوسط شخص آخر بين من يعطى ومن سيأخذ ، فهو حلقة اتصال بين المعطى والآخذ ، وإذاً فالرشوة على ضوء ما ذكر تتكون من عدة أمور وهى :

١ـ معط وهو من يقدم الهدية مالاً أو قيمة ـ ٢ـ آخذ وهو من يأخذ المال أو الهدية ـ ٣ـ مال يعطى أو هدية ، وإما أن يعطى المال أو الهدية من الشخص صاحب المصلحة مباشرة أو أن يكون هناك شخص آخر وسيط يقوم بهذا الدور .

٤ـ قضاء مصلحة لمن أعطى سواء كانت هذه المصلحة مشروعة أو غير مشروعة . . تلك هى أركان العشوة ، وفى جميع الأحوال فهذا السلوك غير مشروع وهو حرام وغير مرضى عنه من اللّٰه ، وذلك التصرف فيه إدانة ومؤاخذة وعقاب إدانة لمن أعطى وهو صاحب المصلحة ، ولمن أخذ وهو الذى سيقضى المصلحة ، وأيضاً لمن توسط بين الطرفين إن كان هناك وسيط ، أما بالنسبة لمن أعطى فهو بهذا العمل المحظور دينيا نشر الفساد بين الناس ، وبث روح التهاون فى أداء الواجبات وتلك المصالح من صميم أعمال أولئك الموظفين ، وهم يتقاضون من الوطن أجراً على تلك الأعمال ، فإذا أنجزت مقابل أجر غير راتبهم من أى إنسان من أبناء الوطن ، فهذه رشوة وهى حرام وسحت ، ثم إن الإنسان الذى أعطى تلك الرشوة سن سنة سيئة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزْرها ووزْر من عمل بها إلى يوم القيامة ، وأما بالنسبة لآخذ هذه الرشوة ، فإنه مدان أيضاً وهو آثم ومأزور ، لأنه مكلف من قبل الوطن بإنجاز الخدمات للمواطنين ، والمال الذى يأخذه من المواطنين إنما هو سحت وحرام ،واستيلاء على أموال الناس بالباطل ، وبئس المال الذى يؤخذ عن طريق غير شرعى ، إنه سيكون سبباً فى غضب اللّٰه عليه وسيعاقب يوم القيامة من ربه ، وأما بالنسبة للوسيط فهو الآخر قد توسط فى شىء محرم ، وساعد على تفشى الحرام بين الناس ، فهم جميعا ـ المعطى والآخذ والوسيط ـ مدانون من اللّٰه ،وهم واقعون تحت طائلة العقاب ، والرسول صلوات الله وسلامه عليه قال فى حديث شريف :« **لعن اللّٰه الرّاشى والمرتشى والرائش** » [الترمذى] .

إن هؤلاء الثلاثة ملعونون من اللَّه ، لأنهم أفسدوا فى الأرض ، وسلكوا طرقا ملتوية من أجل الحصول على مكسب حرام ، وهم بتصرفهم هذا يحطمون الأخلاق الفاضلة ، ويخرجون عن الحدود التى رسمها اللَّه لعباده ، وقد قرر الرسول صلواتاللَّه وسلامه عليه ، بأن النار من نصيب الراشى والمرتشى ، وأن العذاب معد لهم من قبل ربِّ العزَّة جلّ شأنه ، حيث قال صلوات اللَّه وسلامه عليه « **الراشى والمرشى فى النار** » [الطبرانى] والقرآن الكريم ـ وهو كلام اللَّه تعالى ـ بين لأمة الإسلام أن الرشوة طريق معوجة ، واستيلاء على أموال الناس بالباطل ، وبالطرق الملتوية والأساليب غير الطبيعية ، وذلك فى قول اللَّه تعالى ﴿**وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ**﴾ [البقرة : ١٨٨] .

وأكل أموال الناس بالطرق غير الشرعية إعتداء صارخ ،وظلم بين الناس، وهذا هو القرآن الكريم يقول فى هذا الشأن: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [المائدة : ٨٧] فاللَّه تبارك وتعالى ينهى المؤمنين نهيا قاطعا عن تحريم ما أحله لهم من الطيبات من الرزق ،لأنه ـ جلَّ شأنه ـ هو المشرع ،وقد قرر أن هذا حلال وذاك حرام،وأن ما هو حلال فليقبل المؤمنون عليه وليتعاملوا به ولا يحرموه على أنفسهم،وما هو حرام فليقلعوا عنه ولا يقدموا على تناوله ، لأن هذا السلوك اعتداء ،واللَّه تعالى لا يحب من يعتدى على جدوده ، والقرآن الكريم بين أن التعدى على حدود اللَّه ظلم،حيث قال ربُّ العزَّة جلَّ شأنه: ﴿**وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾

[الطلاق : ١] .

إن الرشوة تصرف ممقوت وقبيح ، وظلم وإثم ،وهى تعاون على الإثم والعدوان لا على البر والتقوى ، ثم إن مال الإنسان فى الإسلام مُصَانٌ ، فإذا

اعتدى إنسان عليه بأى صورة من الصور ، فقد ارتكب إثما كبيرا ، وعاش فى دنياه منبوذا حقيرا ، وفى هذا الشأن يقول الرسول صلوات اللّه وسلامه عليه: «**كل المسلم على المسلم حرام : دمه و ماله وعرضه** » [مسلم] .فالدم له حرمته وحرام التعدى عليه ،والمال له حرمته وحرام التعدى عليه ، والعرض له حرمته وحرام التعدى عليه، إن الرشوة تصرف غير إيمانى ،وعمل غير لائق ، واتجاه فاسد كل الفساد وانحراف فى مسيرة الحياة ، وبعد عن روح الإسلام ، وعلى من وقعوا فى هذه الخطيئة أن يتوبوا إلى ربهم ، ويندموا على ما حدث منهم من انحراف ، ويبتعدوا كل البعد عن كل ما يشوه سمعتهم وسمعة دينهم ، وأن ينأوا عن تناول الحرام ، ويعزفوا عن أكل أموال الناس بالباطل ، ويخافوا ربهم الذى يطلع على أحوالهم ، والذى هو معهم أينما وجدوا وحيثما كانوا ، ويجب عليهم أن يكونوا فى أحسن صورة أمام اللّه وأمام الناس ، وأن يكونوا قدوة حسنة لا قدوة سيئة ، وهذا هو ما يجب أن يكون عليه المسلم فى حياته .

والرشوة مرفوضة من كل الشرائع . لأنها مسلك غير طبيعى، وتصرف شيطانى، وصدق رسول اللّه عليه الصلاة والسلام حيث قال :«**الراشى والمرتشى فى النار** » [الطبرانى]

٢١ ـ [الغيبة شر كبير]

الحمد للَّه ذم الغيبة وذم المغتابين ، ومدح ذوى الأخلاق العالية الذين لا يطلقون ألسنتهم فى اغتياب غيرهم ، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، أرسل محمداً عليه الصلاة والسلام ليتمم مكارم الأخلاق ، وجعله رحمة للإنسانية جمعاء ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد اللَّه ورسوله ، صاحب الرسالة العالمية ، الصالحة لكل زمان ومكان ، والتى بنيت على اليسر لا على العسر ، صلوات اللَّه وسلامه عليك يا رسول اللَّه، وعلى آلك وأصحابك ، الذين كانوا يحملون قلوباً فاقهة ، وعقولاً ثاقبة ، ونفوساً نقية ، فرضى اللَّه عنهم وأرضاهم أجمعين .

إخوة الإيمان والإسلام : ديننا الإسلامى يحثنا ـ نحن المسلمين ـ على التحلى بمكارم الأخلاق ، والاتصاف بنبل السجايا ومحاسن الشمائل ، وينهانا فى الوقت نفسه عن الأخلاق الفاسدة ، والانحرافات المزرية ، والسلوك المعوج ، ومما نهانا عنه ربنا ورسولنا ، الغيبة والتطاول على الغير من الناس بألسنة حداد ، ونهش أعراضهم ،وإلصاق العيوب بهم ،وتصويرهم بصورة منفرة مقززة ، وإيذاء مشاعرهم وإهانتهم ،وما السبب فى ذلك ؟ إن السبب يكمن فى الحقد عليهم ، وامتلاء النفوس بالحسد الممقوت ،لأنهم أكثر أموالاً وأولاداً ، أو لنجاحهم فى الحياة الوظيفية ، أو لأنهم يتمتعون بالصحة والعافية ، تلك هى بعض الأسباب التى لوثت الألسنة بالغيبة ،والقلوب بالحسد والحقد ،واللَّه سبحانه وتعالى لا يرضى عن هذا السلوك ، ولا يقبل ذلك التصرف ،وهو ـ جل شأنه ـ نظم أمور الكون بحكمته ، وقسم الحظوظ والأرزاق بإرادته ، ومن الإيمان أن يرضى المؤمن بما قدره اللَّه ، وألا يؤذى غيره لأنه أكثرحظًا منه ، وإلا كان غير راض بما أراده

الله وقدره ،وعندئذ يكون فاقدًا لعنصر من العناصر الإيمانية ، وهو الرضا بالقدر خيره وشره ، حلوه ومرّه .

إن ظاهرة الغيبة تفشت فى العصر الحاضر بصورة رهيبة ، وهؤلاء المغتابون خطر كبير على الأمة ، وشر عظيم على الوطن ، لأنهم يفككون أوصال المجتمع، ويقطعون الروابط ، وينتشرون المساوئ والعيوب ، ويذيعون الشر والفساد ، ويشوهون الحقائق ويقلبون الأوضاع ، وينفثون سمومهم فى كل مكان ، ويؤذون المؤمنين والمؤمنات ببهتانهم . . إنهم وباء خطير فى المجتمع ، وهم جراثيم فتاكة ، وقد صورهم القرآن الكريم بصورة منفرة ، حيث شبه المغتاب بمن يأكل لحم أخيه ميتاً ، وصدق ربُّ العزَّة حيث قال : ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات :١٢] ألا إنها صورة قبيحة كل القبح ، مزرية بشعة كل البشاعة ، ومن الذى تقبل نفسه أن يتناول لحم إنسان ميت ؟ ومن الذى يرغب الأكل من جثة آدمى فارق الحياة ؟ إن النفوس لا تقبل أكل لحم إنسان ميت،وهى تتقزز من تناوله وتعافه ، وتبغض طعاماً هذا شأنه وتلك هى حاله ، ولا تستسيغ أبداً الأكل من الميتة الآدمية ، وإذا كانت تلك هى حاله . ولا تستسيغ أبداً الأكل من الميتة الآدمية ، وإذا كانت تلك هى الحال، عدم استساغة أكل الميتة، والنفور من تناول جثة الآدمى ؛ إذا كان الأمر كذلك ، فكيف يقبل المغتاب تناول عرض أخيه المؤمن بالنقائص والمعايب ؟ وكيف يسمح لنفسه أن يتحدث عن الناس بالمساوئ ؟ وكيـف يترك لسانه لينهش فى عرض أخ له فى الدين وفى الإنسانية ؟ إنه برضاه عن ذلك ، وباستمراره فى تناول لسانه الغير بالغيبة ، فإنه فى هذه الحال وقع فيما صوره عنه القرتن الكريم من أنه يأكل لحم أخيه ميتاً ، وكما أن الميت لا يدرى بمن يأكل لحمه ، فكذلك الحى لا يدرى بغيبة من اغتابه ، وكما أن تناول لحم الميت حرام ، ومن شأن النفوس أن تعاف تناوله ، فكذلك

اغتياب الناس والتحدث عنهم بما يسيئ إليهم من إلصاق العيوب بهم أيضاً حرام ، ومن شأن النفوس أن تعاف تناوله ، وهذا رسول اللّه ﷺ، شاهد فى رحلة الإسراء قوما لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم ،وهكذا عرضت على الرسول فى رحلته إلى بيت المقدس ليلة الإسراء مشاهد مختلفة ، بعضها طيب وبعضها سيئ ، وهؤلاء الذين شاهدهم الرسول فى هذه الصورة المنفرة هم الذين يغتابون غيرهم من الناس . وإنها لصورة مزعجة ، تمثل أولئك الذين يطلقون ألسنتهم فى نهش أعراض الناس ، بلا حياء ولا خجل ولا خوف من اللّه ، وهم إذا كانوا بهذه الصورة التى شاهدها الرسول وهى صورة قبيحة ، فإنهم يوم القيامة فى صورة أسوأ ومنظر أبشع ، وهؤلاء المغتابون سيأخذ اللّه من حسناتهم لتعطى لمن اغتابوهم، فهم فى الآخرة من المفلسين الذين تحدث عنهم الرسول أمام صحابته .

وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه معنى الغيبة ، وذلك بعد أن وجه إليهم سؤالاً فى هذا الشأن ،ولماذا سألهم الرسول وأجاب عن سؤاله ؟ إن الهدف من ذلك هو تعميق كراهية هذه الرذيلة فى نفوس أصحابه وغيرهم من المسلمين ، والبعد عن ساحتها المليئة بالألغام . . قال الرسول لأصحابه :« **أتدرون ما الغيبة ؟** قالوا :اللّه ورسوله أعلم ، قال : **ذكرك أخاك بما يكره** ،قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ . قال :« **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته** » [مسلم] .

إن الغيبة رذيلة مرتبطة بالشر ،وهى خلق ذميم ، وجرم بالغ الخطورة ، ويوم القيامة سينتقم اللّه من المغتابين ،وستقدم لهم فى الآخرة لحوم من اغتابوهم، لكى يتناولوها وهى ميتة ، وقد قرر الرسول الذى لا ينطق عن الهوى تلك الحقيقة ،

حيث قال صلوات اللَّه وسلامه عليه : « **من أكل لحم أخيه فى الدنيا، قدم إليه فى الآخرة ، وقيل له : كله ميتا كما أكلته حياً** » .

إنه ليس من المروءة أن يسخر الإنسان بأخيه الإنسان ،وليس من المروءة أن يعتدى امرؤ على عرض أخيه المسلم أو على غيره ممن ليس مسلما بقول أو فعل ، أو أن يتخذ إنسان من غيره محلاً للتجريح والتشويه ، لأن كل إنسان له كرامته وإنسانيته ،والدين الإسلامى كرم الإنسان ،ونظر إليه نظرة احترام ،ومن أجل هذا أمرنا ديننا بالمحافظة على الكرامة الإنسانية ،ونهانا عن امتهان كرامة الإنسان، وعن إلحاق الأذى بأى صورة من الصور،وقد توعد اللَّه تبارك وتعالى من يقدمون الإساءة إلى غيرهم بغضبه وعذابه ، وأخبر القرآن الكريم بأن الذين يكونون بهذه الصورة البغيضة قد ارتكبوا بهتانا وإثما عظيماً ،وصدق ربُّ العزَّة حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[الأحزاب : ٥٨] فليقلع الإنسان عن الغيبة ، وليصن لسانه عن التطاول على الناس ،وليتخلق بأخلاق الإسلام ،وصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث قال:« **من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة** » [متفق عليه].

٢٢ـ [النميمة خلق قبيح]

الحمد للّه أمرنا بحسن الأخلاق ونبل السلوك ، ونهانا عن مستهجن الأخلاق ومستقبح العادات ، وأشهد ألا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، مدح رسوله محمداً فى القرآن الكريم بعلوا الشمائل وسمو الأخلاق ، وصدق سبحانه حيث قال لرسوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤] وأشهد أن سيدنا محمداً عبد اللّه ورسوله ، شرح اللّه صدره ، ورفع ذكره ، وقلده وسام الرسالة العالمية ، الصالحة لكل زمان ومكان ،صلوات اللّه وسلامه عليك يا رسول اللّه ، وعلى آلك وأصحابك، الذين عرفوا ربهم معرفة حقيقة ، وأدوا واجبهم نحو خالقهم أحسن ما يكون الأداء ،فرضى اللّه عنهم وأرضاهم أجمعين.

إخوة الإيمان والإسلام : نحن فى زمن نرى فيه العجب العجاب ، ونشاهد أموراً يندى لهولها جبين الإنسانية ، ونلاحظ فى مجتمع الإسلام سلبيات ضارة ، وستكون لها مضاعفات خطيرة ، وعواقب وخيمة ، ومن بين تلك السلبيات التى اشتد عودها، ذلك الداء العضال وهو النميمة ،والنميمة معناها نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد ، والتحدث إلى الناس عن الغير بصورة تحمل طابع الشر والفتنة ،وكيفية تظهر روح العداوة والبغضاء لمن يتناولهم اللسان بالطعن ، وطريقة تهدف إلى غاية خبيثة ،تتمثل فى تقطيع الروابط ،وتمزيق الصلات والوشائج ، والدين الإسلامى الذى ننتسب إليه يحذر من مثل هذا التصرف السيئ ، وينهى عن تناول الألسنة الناس بالطعن ، وتصويرهم بصورة سيئة ، والغاية من ذلك زرع الإحن بينهم،وإشعال نار الفرقة والقطيعة والقضاء على صلاتهم ،ووضع الأشواك فى طريق التقارب فيما بينهم ،وضحايا النميمة كثيرون ، والآثار المترتبة عليها ضارة

كل الضرر ، ولهذا فالنمام عدو للمجتمع الذى يعيش فيه ، وهو أيضاً مثبط لتقدمه ونهضته ، ومعطل لمسيرته ورقيه ،وهو أيضاً عدو للَّه لأنه لا ينفذ أوامر اللَّه ،ولا يجتنب ما نهى عنه اللَّه ، وهو عدو لدينه ، لأنه لا يعيش فى رحابه ،وهو خارج عن إطاره ، وهو عدو للإنسانية ، لأنه لا يعمل لصالحها وإنما يعمل ضدها، وينشر الفساد بين أبنائها ، وما هذا العمل الذى يمارسه النمام إلا دليل على خسته، وبرهان واضح على حقارته . إنه نافث سموم فى مجتمعه ،وهو خال من نبل الأحاسيس ،وبعيد عن العواطف الإنسانية ، وعن روح الدين الذى ينتمى إليه .
وهو بهذا السلوك الدنيئ صار كالوحش الضارى وإذا لم تستأصل شأفة النمام فإن الخطر سيكون كبيراً ، والشر سينتشر بصورة رهيبة مزعجة ، ولخطورة مخطط النمام ،فإن الرسول عليه الصلاة والسلام ،بين لنا أن الذى يحمل ميكروب النميمة محروم من دخول الجنة وأنه من أهل النار ،وصدق الرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه حيث قال: « **لا يدخل الجنة نمّام** » [متفق عليه] إنه نص محمدى يقرر تلك النتيجة السيئة ،ويحمل إلى أمة الإسلام التحذير الشديد من خطورة النميمة والوقوع فيها ،ويبين أن الجنة محرمة على من يمارسون هذه الرذيلة ،وأن مأواهم جهنم وبئس المصير ،وذلك لأنهم يحملون قلوباً ملوثة ،ونفوساً أمارة بالسوء ، وألسنة حداداً وظيفتها الإفساد بين الناس ،وهدفها تقطيع الروابط وتسميم الأجواء،وزرع الإحن فى القلوب المتواصلة ،وتلويث النفوس المترابطة، وهدم الأواصر التى بين الناس. والإحاطة ببناء الوفاق والود والحب،وربُّ العزَّة جلَّ شأنه،بين فى القرآن الكريم ما عليه النمام من خسة وفساد ،وما يضمره فى نفسه من حقد أعمى لأبناء وطنه،وما أعده اللَّه تعالى لهذا النمام الشرير من سوء المصير،وهذا هو النص القرآنى الذى يتحدث عن كل ذلك، وهو ما جاء فى قول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿**وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا**

يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٥ ـ ٢٠٦] إنها لنتيجة سيئة ، وعاقبة وخيمة ، ولقد صور القرآن الكريم النمام بهذه الصورة المستهجنة، وذكر ما يترتب عليها من غضب ربانى ، ومصير قاتم ، وهذا رسول اللّه ﷺ يصف النمامين بعدة صفات خسيسة قبيحة ،وبيّن أنهم أشرار الخلق،وأنه يبغضهم كل البغض ،وذلك فى قوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «**ألا أخبركم بشراركم ؟ قال : المشاءون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرءاء العيب** » [ابن ماجة] وتحدث صلوات الله وسلامه عليه عن هؤلاء النمامين أيضاً بقوله:« **ألا إن أبغضكم إلى المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الإخوان ، الملتمسون العثرات للناس** » .

وها هوذا عليه السلام مرّ بقبرين ، فقال عندئذ : « **إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما :فكان يمشى بالنميمة ، وأما الآخر : فكان لا يستتر من بوله** » [متفق عليه] .

إنها نصوص نبوية صادقة ، وكلها تنديد بالنميمة والنمامين ، وهى تعريهم من الأخلاق الفاضلة ، وتنعتهم بأسوأ النعوت وأحقرها، وتبين ما ينتظرهم من عذاب أليم من اللّه تبارك وتعالى ، وهكذا يكون النمامون بهذه الصورة الكريهة المبغضة الساقطة،وعلى هذا الوضط المنفر المزرى ، وتلك صورة قبيحة من صور النمامين، وقصة دامية تبين ما يترتب على الوشاية من خطر جسيم .

قيل: إن رجلاً باع عبداً لآخر ، وقال البائع للمشترى ، ليس فى هذا العبد عيب سوى أنه نمام ، فاستخف المشترى بهذا العيب واشترى العبد ، وبعد أن مكث لديه أياما ، قال العبد لزوجة المشترى : إن زوجك لا يحبك ، وهو يريد أن يتزوج عليك ، أفتريدين أن يحبك، ويعطف عليك ؟ قالت: نعم ، قال لها :

خذى موسى واحلقى شعرات من باطن لحيته وهو نائم ، ثم جاء إلى الزوج وقال له :إن امرأتك اتخذت لها خليلاً وعشقت عليك، وهى تريد أن تقتلك ، أتريد أن يتبين لك ذلك ؟ قال: نعم .قال له: تناوم أمامها ، وستعرف بعد ذلك الحقيقة ، فتناوم الرجل أمام زوجته ،وهنا جاءت امرأته بموسى لتحلق الشعرات ، فظن الزوج أنها تريد قتله ، فأخذ منها الموسى وقتلها ، فجاء أقاربها وقتلوا الرجل ، ووقع القتال بين أهل كل من قبيلتى الرجل والمرأة . . تلك هى النتيجة .

وما السبب فى ذلك ؟ وما الذى أدى إلى قتل الرجل وامرأته ؟ ومن الذى أشعل الحرب بين الطرفين ؟ إنه ذلك النمام اللعين ، وإنها الوشاية الحقيرة .

وإذاً فالنميمة شر وبلاء ، ومن الواجب علينا ألا نصدق النمامين ، وألا نسلم لأول وهلة بما يقولون ، وإنما نتحرى ونعرف الحقيقة ، لأن التسرع دون معرفة الحقيقة يؤدى إلى نتائج ضارة ، والنمام ذو وجهين ، وصاحب لسانين ولونين ،وقد بين الرسول عليه السلام حقيقته حيث قال :« **تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين ، الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه** » .

وقال عليه الصلاة والسلام: « **لا يدخل الجنة قتات** » [1] [مسلم] .

(١) قتات : نمام .

٢٣ـ [خلف الوعد نفاق]

الحمد للَّه كرّم الأمة المحمدية ، وجعلها خير أمة وجدت على الأرض ، فهى أمة محظوظة ، وهى جديرة بهذا التكريم من اللَّه ، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له،قال فى كتابه الكريم ما يؤكد تكريم هذه الأمة ،حيث قال سبحانه : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران :١١] وأشهد أن سيدنا محمداً عبد اللَّه ورسوله ، اختاره ربه ليكون الرسول الخاتم . وصدق سبحانه حيث قال : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[الاحزاب : ٤٠] صلوات اللَّه وسلامه عليك يا رسول اللَّه ، وعلى آلك وأصحابك . الذين آمنوا وجاهدوا ، وتحملوا المشقات فى سبيل العقيدة الإيمانية ، فرضى اللَّه عنهم وأرضاهم أجمعين.

إخوة الإسلام : يقول ربُّ العزَّة فى كتابه الكريم :﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة : ٧٥ ـ ٧٩] هذه آيات من كتاب اللَّه تبارك وتعالى ، وهى تبرز رزيلة النفاق بصورة منفرة ، وتتمثل هذه الرذيلة فى رجل سيطر الشح على نفسه، وتحكمت المادة فى قلبه ، واستولت الأنانية عليه ، وصارت الأثرة محببة إليه ، والمال أعز شيء لديه . وعرف النفاق طريقه إلى هذا الرجل ، ونتيجة لهذا نقض عهدا قطعه أمام الرسول عليه السلام على نفسه ، وخالف ظاهره

باطنه،وحوله المال إلى صورة سيئة كل السوء ، وتمكن الطمع والمال وحب الذات منه كل التمكن ، وصارت الأثرة سجية ملازمة له ، ولسيطرة المال عليه قصر كل التقصير فى طاعة ربه ،وصار عبداً للمادة وأسيراً للطمع والبخل ،وهذه الآيات القرآنية السابق ذكرها ،تحمل إلينا قصة رجل ضل طريق الحق والخير ، واستولى عليه الشيطان الرجيم ،واستحوذ على مشاعره وذاته ،وملك زمام أمره ،وبهذا التحول الخطير فى حياته ، نسى ذكر اللَّه ، وقصر فى أداء الصلاة إلى أن تركها ، وصار كل همه أن ينمى ثروته، وأصبح تفكيره محصوراً فى زيادة ما لديه من مال. وقصة هذا الرجل الذى نقض العهد وارتمى فى أحضان المادة حتى أصبح المال كل ما يهمه فى الحياة ،هذه القصة تحمل النذر الإلهية بالعقاب الشديد والعذاب الأليم لمن لم يلتزموا بأداء ما كلفوا به وعاهدوا اللَّه عليه ، وتبين العاقبة الوخيمة لكل من يخرجون عن إطار الوعد الإيمانى ويتمردون على حدود اللَّه، وتشح نفوسهم ولا يخرجون الزكاة ، إنهم بهذا السلوك المزرى عرّضوا أنفسهم لغضب اللَّه وشديد العقاب ، وكان عاقبة أمرهم خسراً . .

وإليكم أيها الإخوة القصة التى تحملها تلك الآيات القرآنية التى سمعتوها ، وتتلخص هذه القصة فى أن رجلاً مسلماً اسمه ثعلبة بن حاطب وهو من الأنصار وممن يحرصون على أداء الصلاة جماعة مع رسول اللَّه ﷺ ، وماذا كان من أمر هذا الرجل ؟ إنه كان رقيق الحال ، مقلا من المال ، لكنه كان يتطلع إلى الثراء الواسع ، وتتوق نفسه إلى الغنى وسعة الرزق ، وظل هذا الأمل يتردد صداه فى أعماق قلبه ، ويسيطر كل السيطرة على عقله ، ويملك عليه مشاعره وأحاسيسه ، ولما كان الأمر كذلك ، فإن هذا الرجل أراد أن يحول الأمل إلى واقع ، والأمنية إلى حقيقة ، ولذا توجه إلى رسول اللَّه ﷺ ،وقال له فى شغف وشوق ، يا رسول اللَّه . ادع اللَّه تعالى أن يرزقنى الرزق الواسع ، والمال الكثير ، والثراء

العريض ، فنظر إليه الرسول وقال له ناصحا وموجهاً :« يا ثعلبة : قليل تؤدى شكره ،خير من كثير لا تطيقه» ولكن هذا الرجل ظل يلح على الرسول فى الدعاء له وتجسيد أمنيته وتحويلها إلى واقع ملموس ، فقال له الرسول: « **أما ترضى أن تكون مثل نبى اللّه ، لو شئت أن تسير معى الجبال ذهبا لسارت** »؛ وعاود ثعلبة الإلحاح على الرسول فى الدعاء له، وأقسم له بأنه لو صار غنياً سيعطى كل ذى حق حقه ، وقطع الرجل على نفسه العهد بأن يساعد بماله الفقراء ،وأن يكون هذا المال مصدر خير للبؤساء ، إنه العهد والميثاق،والقسم والوعد ،ولعل هذا الرجل يفى بما قال .وتحت إلحاح الرجل وعهده ، دعا الرسول ربه أن يرزق هذا الرجل ويوسع له فى رزقه ، واستجيبت دعوة رسول الله ، وصار ثعلبة من الأغنياء ، وذوى الثراء الكبير . ونمت ثروة الرجل بصورة تلفت الأنظار ، وفى ظل هذا الغنى الواسع ، ترك الرجل الصلوات الخمس ، وداوم بعض الوقت على صلاة الجمعة ، ثم بعد فترة من الزمن تركها . إنها الفتنة بالمال ، وإنه التهاون فى أداء فريضة الصلاة بسبب الثروة التى فرح بها ، وهذا التهاون ما هو إلا مؤشر لحياة شقية غير سعيدة لهذا الرجل ،وجاء دور الزكاة ، وحدث أيضاً التهاون بها كما حدث بالنسبة للصلاة . إن ثعلبة رسب فى الامتحان ، وهو لم يف بوعده ، ولم يكن بارا بقسمه ، ولم يصدق فيما قطعه على نفسه من عهد ، ولم يعط كل ذى حق حقه ، وفتن بماله وصار عبدا له ، وسيطرت عليه رذيلة الشح والأنانية ، وهذا هو محصل الزكاة يقول له ثعلبة حين طلب منه الزكاة المفروضة: « **ما هذه الزكاة ؟ إنها أخت الجزية** » إن هذا الرجل سقط سقطة لا يمكن له النهوض منها . وإنه ظهر على حقيقته ، فهو ترك الصلاة ، وهو جعل الزكاة فى منزلة الجزية ، وهو بخل بالزكاة ولم يؤدها ، وهو لم يكن صادقاً فى وعده وعهده ، وهو لم يشكر اللّه على نعمه، وهو قد رد محصل الزكاة رداً سيئاً ، وقبل أن يصل محصل

الزكاة إلى رسول اللّه ، كان الوحى جاء إليه من ربه وأخبره بما حدث من ثعلبة ، وعندئذ قال الرسول :« **ويح ثعلبة ، ويح ثعلبة** » قال هذا القول أمام أقارب لثعلبة، فما كان منهم إلا أن ذهبوا إليه ليسرع بتقديم الزكاة لرسول اللّه ، وجاء ثعلبة بزكاته ، ولكن الرسول لم يقبل الزكاة بأمر من اللّه ، ورجع ثعلبة خائباً ذليلاً، وفى خلافة أبى بكر، وعمر ، وعثمان لم تقبل زكاته ، ما دام رسول اللّه لم يقبلها : إن غنى هذا الرجل كان نكبة عليه ، وإن ثروته الواسعة التى فتن بها أدت به إلى الهاوية ، وأسلمته إلى سوء العاقبة ، ولفتنته بالمال كذب ونقض العهد، إنها الخاتمة السيئة ، والنهاية المؤلمة ، والعاقبة الوخيمة ، وصدق رسول اللّه ﷺ حيث قال : « **حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة** » .

٢٤ـ [ومن شر حاسد إذا حسد]

الحمد للَّه قسم الأرزاق بين خلقه ، وقدر سبحانه كل شيء طبقاً لحكمته ، وهو سبحانه المتصرف فى خلقه وهو الحكيم العليم ،وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، قال فى كتابه الكريم : **﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾** [الزخرف : ٣٢] وأشهد أن سيدنا محمداً عبد اللَّه ورسوله ، جاءنا بدين يحث على الفضائل وينهى عن الرذائل ، ويأمر بالخير وينهى عن الشر ، صلوات اللَّه وسلامه عليك يا رسول اللَّه ، وعلى آلك وأصحابك ، الذين تحلوا بفضائل الإسلام ، فرضى اللَّه عنهم وأرضاهم أجمعين.

أيها الإخوة المسلمون : من الرذائل المستهجنة التى نهى عنها دين الإسلام رذيلة الحسد ، والحسد معناه أن يتمنى إنسان زوال النعمة عن الغير ، والحاسد فضلاً على أنه اتصف بهذه الرذيلة ، فهو قد اعترض على ربه فيما قدر ، وهو غير راض عما قضى به اللَّه ، والرضا بالقضاء والقدر عنصر من عناصر الإيمان ، والرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه بين فى حديث شريف العناصر الإيمانية ومن بينها الرضا بالقضاء والقدر ،حيث قال عليه الصلاة والسلام: « **الإيمان أن تؤمن باللَّه وملائكة وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره** » [مسلم].

وهذه العناصر الستة ضرورية لبناء العقيدة الإيمانية ،وهى سلسلة متصلة الحلقات ،والإيمان بوجود اللَّه ووحدانيته مرتبط بالإيمان بقدره خيراً أو شراً ، حلواً أو مراً . والذى لا يرضى بقدر اللَّه متصف برذيلة الحسد ، وهذه الرذيلة تتعارض مع الإيمان ، ولا تتفق ودين الإسلام ، والقرآن الكريم تحدث عن الحسد وبين شره ، وربُّ العزَّة ـ جلَّ شأنه ـ أمر رسوله عليه الصلاة والسلام بالاستعاذة

من شر الحاسد .يث قال سبحانه : ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق : ٥] .

والحسد نوعان : **النوع الأول**: يتمثل فى تمنى زوال النعمة من مال أو علم أو جاه أو سلطان عن غيره لتحصل له هذه النعمة ويحرم منها غيره ،أما **النوع الآخر**: فيتمثل فى تمنى زوال النعمة عن غيره ولولم تحصل للحاسد ولم يظفر بها ولم تكن من نصيبه ، فكل أمله أن تزول عن غيره . والرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه حذر من الحسد لأنه كالنار ، يأكل الحسنات ويقضى عليها كما تأكل النار الحطب ، وهذا هو قوله عليه الصلاة والسلام : « **إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب** » [أبو داود] والرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه بين أن هناك نوعين من الحسد ليسا مذمومين ، وذلك فى قوله عليه السلام : « **لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه اللَّه الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها**» [البخارى].

فهذان النوعان ليسا داخلين فى الحسد المذموم، والحسد فى هذا الحديث معناه الغبطة ، والمراد بالحكمة فى الحديث القرآن الكريم والسنة النبوية .

والحسد المذموم محرم ، واللَّه يبغض من يتصف بهذا الوصف الذميم ، فلا يحل لمسلم أن يحسد أحداً من خلق اللَّه أعطاه اللَّه مالاً أو جاهاً أو صحة أو غير ذلك من نعم وفضل ، والقرآن الكريم يقول فى هذا الشأن : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء :٥٤] إن اللَّه تبارك وتعالى هو صاحب التصرف فى خلقه ، وهو الذى قدر وقضى ، وعلينا أن نرضى بما أراده اللَّه وقدره وألا نحسد الناس على شىء قدره اللَّه لهم ، ثم إننا لن نستمر فى دنيانا إلى أبد الآبدين ، بل سنغادرها بعد انتهاء آجالنا ، وما دمنا سنموت ولن يأخذ أحد منا إلى قبره مالاً ولا أهلاً ولا منصباً ، ما دام الأمر كذلك فلنكن راضين بما قدر اللَّه ، وأن نكون دائماً

فى إطار الرضا ، لننال الخير من ربنا ، ونحظى بالأجر الجزيل من خالقنا الذى سيحاسبنا على أعمالنا وسيجازينا عليها .

أيها الإخوة المسلمون : إن الحسد من أبغض الذنوب إلى ربنا ، وهو أول ذنب وجد فى الدنيا ، وممن كان هذا الذنب ؟ إنه كان من إبليس اللعين ، وذلك عندما أبى أن يسجد لآدم ، ولم يمتثل أمر ربه بالسجود ، وقد كان هذا الإباء وعدم الامتثال من منطق حسده لآدم ، لما أكرمه اللّه به من منزلة عالية ومكانة سامية ، ومن أمره لملائكته أن تسجد لهذا المخلوق وهو آدم ، وكانت النتيجة سجود الملائكة كلهم لآدم ، امتثالاً لأمر اللّه ، وانقيادا له جل شأنه ، أما إبليس فلم يسجد ، وأبى وتكبر ، وعصى ولم يمتثل وكان من الكافرين ، وهذا الموقف من إبليس نابع من منطلق الحسد والحقد على آدم ، وفى هذا الشأن يقول القرآن الكريم : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص] ،وهكذا طرد إبليس من رحمة اللّه ،واستحق اللعنة من ربه ،والسبب فى ذلك إنما هو الحسد الذى سيطر على إبليس لعنه اللّه ، ثم إن أول جريمة قتل حدثت فى الأرض كان سببها الحسد ،حيث قتل قابيل أخاه هابيل،وذلك لفوزه بالاقتران من أخته الجميلة وقبول قربانه الذى قدمه بناء على توصية آدم عليه السلام ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم :﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة : ٢٧ـ ٣٠] ، وهكذا وقعت

أول جريمة قتل على ظهر الأرض فى تاريخ البشرية ، حيث قتل قابيل أخاه هابيل لحقده عليه وتحرك الحسد فى قلبه ، ولقد نصح هابيل قابيل ، وقال له: لن أمد يدى إليك بالسوء لأنى أخاف ربى ،ولكن قابيل لم يتقبل النصح ،ولم يحكم العقل،ولم تكن لديه العاطفة الإنسانية التى تحول بينه وبين ذلك الجرم الكبير ، وتمنعه من ذلك المخطط الرهيب ، ولذا نفّذ ما وسوس به الشيطان ، وأزهق روح أخيه ظلماً وعدواناً . . إنها المأساة ،وإنه الجرم الشنيع ، وإنه الحسد الذى اقترن بالشر ،وإنه الحقد الأسود الذى أدى إلى ارتكاب جريمة اهتز لها عرش الرحمن . .

إن الحسد داء عضال ، وإذا تمكن من القلب فإن من الصعب كل الصعب أن يتخلص منه الحاسد ، وما دام الشيطان قد تدخل بنزغاته ووساوسه ، ولعب بعقل من وسوس له وأودع خططه الإبليسية فيه ، فإن هذا الإنسان الذى تأثر به وملّكه زمام أمره ، سسيظل يعيش فى دائرة الشيطان ، ولن تستقيم له حياة ، ولن يجد الراحة فى دنياه ، لأن قلبه صار فارغاً من الخوف من اللَّه ، ولأنه تحول إلى عدو للإنسانية ، وصدق الرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه حيث قال : « **لا حسد إلا فى اثنتين . رجل آتاه اللَّه مالاً فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه اللَّه الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها** » [البخارى] .

٢٥ـ [الشائعات معول هدم]

الحمد لله أمرنا بالخير لصالح الفرد والمجتمع ،ونهانا عن الشر لما فيه من أضرار وأخطار ، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، أرسل الرسل لكى يوجهوا الناس إلى طريق الخير ، ويبعدوهم عن طريق الشر ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد اللَّه ورسوله ، أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وينشر وَرْودَ الخير الفواحة فى أرض اللَّه ،صلوات اللَّه وسلامه عليك يا رسول اللَّه ،وعلى آلك وأصحابك ، الذين هداهم اللَّه ،وأولئك هم أولو الألباب ، فرضى اللَّه عنهم وأرضاهم أجمعين .

إخوة الإيمان والإسلام : إن الدين الإسلامى ينشد الفضائل ، وينشر عبيرها على خلق اللَّه ، لكى يعيشوا فى جوها ، ويجتمعوا على موائدها ، ويجلسوا على بسطها ولتنعم الإنسانية من خلالها بحياة آمنة هادئة ، سعيدة طيبة ، وما أعظم أن تكون الحياة بهذه الصورة الجميلة ، التى تسود فيها الفضائل ، وتظل الناس بظلها الوارف ، وتجعلهم يعيشون فى سرور غامر ، وابتهاج زاخر ، ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف ، جاة الإسلام بالفضائل ، وحث الناس على أن يتحلوا بها فى حياتهم ، وفى المقابل كان النهى عن الرذائل ، والبعد عن رائحتها النتنة التى تزكم الأنوف ، والفرار من شبحها المخيف ، والنأى عن طريقها لأنها شر وليس فيها خير ، ومما نهى عنه ديننا الحنيف ، وحذر منه أتباعه ، تلك الرذيلة العفنة ، وهى الشائعات المغرضة ، لأنها أداة هدم للفرد والمجتمع ، ولها تأثير بالغ الخطورة . والشائعات مبنية على الكذب ، ومؤسسة على أغراض خبيثة ، وهى تهدف إلى إثارة البلبلة ، وإشعال نار الفتنة ، وتسميم الأجواء ، والطعن فى

الأعراض وهى لا تصدر إلا عن أناس خلت نفوسهم من المروءة ، وقلوبهم من الأخلاق الكريمة ، وهم لا ضمير لديهم يردعهم ، ولا حياء ولا فضائل عندهم ، والكذب ديدنهم وهو سمة من سماتهم ، وتشويه سمعة الناس طبيعتهم ، وهم يعيشون فى الأجواء الملوثة ، ويحاولون بشتى الأساليب الحقيرة إلحاق النقائص بغيرهم ، من منطلق الحسد والكراهية وسوء الأخلاق ، وهم يعملون على تحطيم شخصية من يتناولونهم بألسنتهم الملوثة ، ويقولون فيهم ماهم منه برءاء . وهذه الشائعات التى تصدر ممن لا خلاق لهم عن أناس لهم ماض مشرف ، فإن الهدف منها شيطانى ، ويتمثل فى تلطيخ الشرف ، وتشويه المسيرة ، والدعاية السيئة المغرضة ، وهى ضرب من البهتان ، ولون من ألوان التزوير ، والشائعات تسرى بسرعة بين الناس ، وقد تطلق بهدف التفكه بأقوال يلصقونها بالغير فى غيابهم ، وبتناول تلك الشائعات هذا وذاك من الناس ، وبانتقالها من مكان إلى مكان تروج وتصبح ذات حجم أكبر ، ويضاف عليها من توابعها ما يجعلها فى صورة حقيرة ، وكان الأصل فى هذه الشائعة التفكه ، وهو تفكه مرذول قبيح ، ويجر إلى أرذل آفات اللسان ، ويؤدى إلى أسوأ العواقب ، ويجر إلى أرذل آفات اللسان ، ويؤدى إلى أسوأ العواقب ،والقرآن الكريم يقول فى معرض الحديث عن خطر الشائعات، وذلك فى قول اللّه تعالى : ﴿ وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور :١٦] .

إن اللّه تبارك وتعالى يحب أن يكون المجتمع الإسلامى نظيفا ، ـ طاهرا من الآفات ، بعيدا عن الزلات ، مجتمعا سويا غير معوج ، متوجا بتاج الأخلاق الفاضلة والخلال الحميدة .

إخوة الإيمان والإسلام : إن الذى يروج الشائعات ويرددها هنا وهناك ، ماهو

إلا شيطان مارد ، وعدو لمجتمعه وللإنسانية ، وهو وباء يفتك بجسم المجتمع ، وأداة شيطانية ضد أمته ، وهو قد نسج الشائعات بخيوط الكذب وعلى منوال الحقد على الغير من أبناء وطنه ، وهو يبغى بما يصنع التشهير ، وإحداث البلبة ، وتشويه الصورة ، وفى الوقت نفسه فهو يوظف لسانه فى إطلاق الشائعات وصنعها بتوجيه من قلبه المريض وعقله المختل ، وعلى رأس ذلك كله الشيطان اللعين ، إذ هو الموجه الأول للفتنة ،والمحرك الأساسى للفرية ، وأساس البلاء والشر فى دنيا الناس والقرآن الكريم تحدث عن أولئك الذين أشاعوا خبرا سيئا عن السيدة عائشة - رضى اللَّه عنها - وهى بريئة مما أشيع ، وذات طهر وعفاف ، وهؤلاء المفترون قاموا بنقل حديث الإفك بين الناس ، وافتروا على زوج الرسول التى لها وزنها العظيم وشرفها الكبير وعلمها الواسع ؛ إفتروا عليها بما يشوه سمعتها ، ويسىء إلى شخصها ، ويلحق العار ببيت الرسول ﷺ ، وقد بذلوا فى هذا الميدان القبيح الجهد الكبير ؛ وإنتشرت الشائعات بين المسلمين ، ولكن اللَّه تبارك وتعالى فضح هؤلاء الذين تزعموا تلك الشائعات بين المسلمين ، ولكن اللَّه تبارك وتعالى فضح هؤلاء الذين تزعموا تلك الشائعة الكاذبة ، وأنزل القرآن الكريم ليثبت براءة عائشة - رضى اللَّه عنها - ،وقد عانت معاناة شديدة مما سمعت ومرضت مرضا مؤلما لما وصل إليها من أخبار تمس كرامتها وشرفها . نزل القرآن الكريم ببراءة السيدة عائشة ، وإدانة العصبة التى حاكت الفرية ، وصنعت الشائعة الكاذبة ، وقامت بنشر حديث الإفك هنا وهناك ، ولنستمع إلى ما جاء فى القرآن الكريم ، وذلك فى قول ربِّ العزَّة جلَّ شأنه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ⑪ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ⑫ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ

هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور ١١: ١٩] .

وهكذا نزلت براءة السيدة عائشة وطهرها من السماء فى عشر آيات ، وأدانت أولئك الذين تزعموا هذه المؤامرة الخسيسة ولاسيَّما كبير المنافقين عبد اللَّه بن أبى ابن سلول الذى جند لهذه الفرية مجموعة للقيام بنشرها ، وقد فضحهم اللَّه وكشف مؤامرتهم ، وأظهر فى قرآنه خستهم ، وأعد لهم العذاب الأليم .

إن هذه الفئة الخسيسة تطاولت بالسوء على بيت رسول اللَّه ،ولكن الله تعالى عراها ووفضحها ، وأظهر هؤلاء المنافقين على حقيقتهم ، وبين أن عائشة فوق الشبهات وأن هذه الشائعات لا أصل لها ولا سند ترتكز عليه ، وأن من قاموا بهذه الحملة الشيطانية قد افتروا وقالوا ما قالوا كذبا وزورا ، ولهذا توعدهم اللَّه بالعذاب الشديد ، وبين فى قرآنه أن حسابهم عسير ، واللَّه سبحانه لا يرضى عن تصرف أهل الفتنة ولا يحب أن تشيع الفاحشة ، وهو لأهل النفاق بالمرصاد ، ولا بد من القصاص العادل منهم عقابا لهم على إفكهم وتطاول ألسنتهم على بيت الطهر والعفاف ، وصدق الرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه حيث قال: « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى اللَّه عنه** » [البخارى، ومسلم] .

٢٦ـ [نموذج لخطبة النعت]

الحمد للَّه ولا حمد إلا للَّه ، والثناء المستطاب منا على اللَّه ، لما له من فضل عظيم علينا ، ونعم غزيرة أسداها إلينا ، والصلاة والسلام على من تحلى بالخلق العظيم ، صلوات اللَّه وسلامه عليك يا رسول اللَّه ، وعلى آلك وأصحابك الغرّ الميامين .

وبعد . فأعظم حلية يتحلى بها الإنسان وتزدان بها الإنسانية ، هى حلية الأخلاق السامية ، التى مدح اللَّه بها رسوله فى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم :٤] .

ورسولنا محمد ﷺ هو المثل الأعلى والأسوة الحسنة ، فلنسر على دربه فى خلقه وتعامله مع ربه : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الاحزاب : ٢١] .

أيها الإخوة:الدعاء مخ العبادة وقلبها ،ونحن بحاجة ماسة إلى عون ربنا، ونحن فقراء إليه ،وهو جلَّ شأنه أمرنا بالدعاء .حيث قال: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر : ٦٠] وإلى داع فأمنوا : اللَّهم استجب دعانا ،واشف مرضانا ، وارحم أمواتنا ،وأهلك الكفرة أعداءنا ،ولا تخيب رجانا ،اللَّهم برحمتك الواسعة عمنا،واكفنا شر ما أهمنا ، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة جميعاً توفنا وأنت راض عنا يا رب العالمين ، اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة ، والطف بنا فيما جرت به المقادير ،واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين يا رب العالمين ، اللهم لا تدع لنا فى هذا اليوم العظيم ذنبا إلا غفرته ، ولا عيباً إلا سترته ، ولا هماً إلا فرجته ، ولا ديناً إلا قضيته ، ولا مريضاً إلا شفيته ، ولا عاصياً إلا هديته ، ولا عسيراً إلا يسرته ، ولا عدواً إلا

دمرته ، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها وسهلتها بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين .

اللَّهم وَلِّ أمورنا خيارنا ولا تُوَلِّ أمورنا شرارنا ، اللَّهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، آمين يا رب العالمين .

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر : ١٠] .

عباد اللَّه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٩٠] .

اذكروا اللَّه العظيم يذكركم ، واستغفروه يغفر لكم ، وأقم الصلاة : ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[العنكبوت : ٤٥] .

[خاتمــة]

من اللَّه العون فيما قمنا به من عمل نافع بمشيئته سبحانه وتعالى ، وما قدمناه لجماهير المسلمين من مواعظ هادفة ، صادرة من الأعماق ، مستهدفة الخير لمن لديهم استعداد له ، ولولا التوفيق الربانى ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث قال : ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود :٨٨] .

فالتوفيق موكول إلى اللَّه ، وبه يحقق الإنسان مبتغاه من الخير ، واللَّه تبارك وتعالى هو خالق العقل وهو الذى يغذيه بالمعرفة ، وهو سبحانه يسخر من خلقه من يقومون بالتوجيه اللسانى أو القلمى ، وإذاً فربنا هو المعلم لمن يعلّم من خلقه، وبتوفيق منه وبإرادته ومشيئته يخرج الجنان ما هو كامن فيه من ثروة مودعة منه جلَّ شأنه ، ثم تتحرك الأداة اللسانية بما هو نافع للناس من القول ، أو يتحرك القلم فيسيل مداده على الصحائف بإشارة من العقل الذى هو المستودع الربانى .

إن ربنا ـ جلَّ شأنه ـ هو المعلم والملهم والمسخر والقادر على كل شىء ، ومنه العون وعليه التوكل ، وصدق سبحانه حيث قال لنبيه : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَم﴾ [النساء : ١١٣] ، وحيث قال بالنسبة للإنسان : ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق : ٥] والحمد للَّه على فضله وكرمه ، ومنه سبحانه كل النعم وهى لا تحصى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم : ٣٤] والمأمول من اللَّه تعالى أن يوفقنا فى مسيرة حياتنا ، ويلهمنا الصواب فى القول والعمل ، إنه سميع الدعاء ، محقق الرجاء .

المؤلفان

حامد على زقزوق

أحمد حافظ عبد النبى




محتويات الكتاب